الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

جدل الأنا والآخر في رواية

– موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح –

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص : أدب حديث ومعاصر

إعداد:
محمد اليمان
نور الدين قطوطة

إشراف:
البروفسور : نبيل مزوار

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	الجامعة
د. صلاح ياسين	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر
أ.د مزوار نبيل	مشرفاً ومقرراً	جامعة الشهيد حمه لخضر
د. زينب قوني	عضواً مناقشاً	جامعة الشهيد حمه لخضر

السنة الجامعية:1441/1440ه 2020/2019م

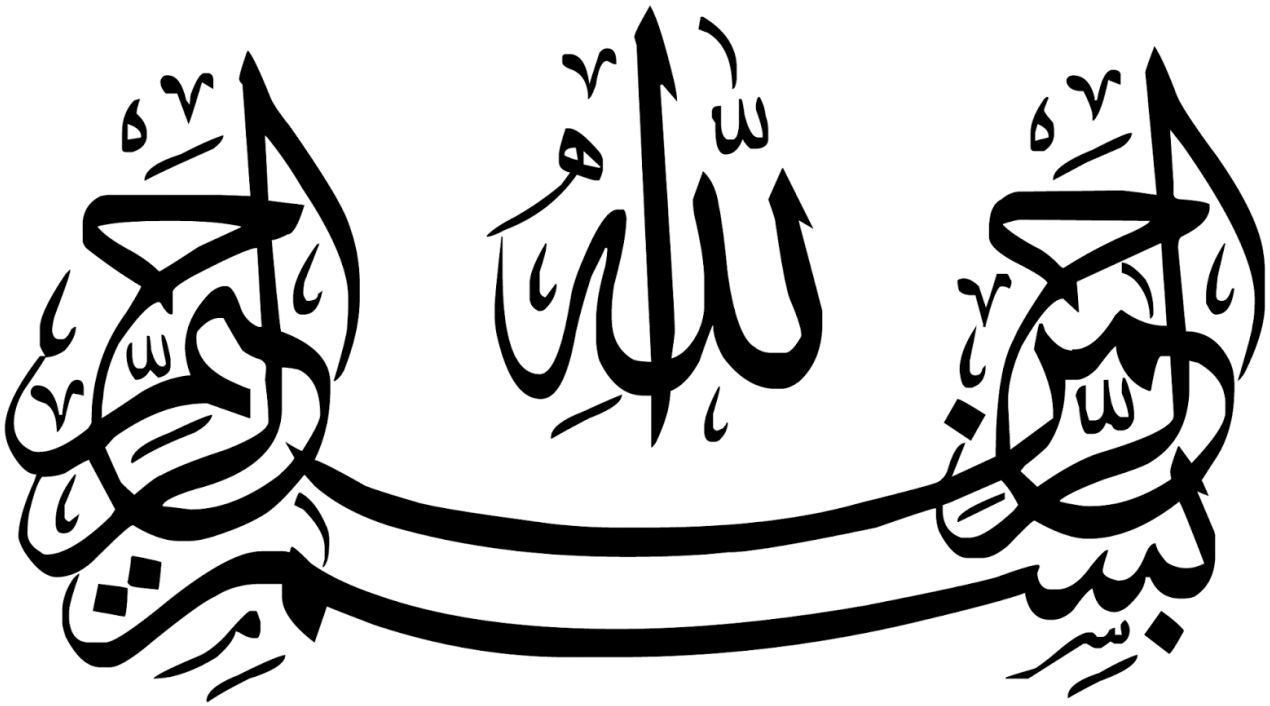
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

نحمد الله عز وجل على منه وعونه لإتمام هذا البحث.

إلى الذين وهبونا كل ما يملكون حتى نحقق آمالنا ومن ثم آمالهم، إلى من كانوا يدفعوننا قدما نحو الأمام لنيل المبتغى،، إلى الذين سهروا على تعليمنا بتضحيات جسام تقديسا للعلم، إل ى مدرستنا الأولى في الحياة، ومثلنا الأعلى في الإنسانية العظيمة: آباؤنا الكرام بارك الله في أعمارهم.

إلى اللواتي منحننا الرعاية في الصغر والسند في الكبر بصبر وثبات عظيمين

إلى من كانت ابتساماتهن ودعواتهن لنا بالتوفيق، تتبعنا خطوة بخطوة في عملنا، حتى أثمر

إلى رمز العطاء و الحنان، ملاك قلوبنا وعيونا: أمهاتنا الكريمات جزاهن الله عنا خيرا

إلى أساتذتنا الكرام ونخص بالذكر الأستاذ المشرف **البروفيسور** نبيل **مزوار**

إلى إخوتنا وأخواتنا الذين تقاسموا معنا عبء الحياة إلى عموم أفراد أسرنا و أقاربنا، سندنا في الدنيا ولا نحصي لهم فضلا.

إلى كل أصدقائنا وأحبتنا و رفقاء الدراسة. دون استثناء.

إليهم جميعا نهدي هذا العمل المتواضع تقديرا لمكانتهم وإسعادا لقلوبهم.

راجين من الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه نافعا لعباده.

" محمد / نور الدين "

الشكر والعرفان

لكال حمد ربنا أن مننت علينا بمحبة العلم، ويسرت لنا سبله، وأعنتنا على تحصيله، وعلمتنا ما لم نعلم .والصلاة والسلام على خير المعلمين محمد: سيد الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه الكرام الطيبين

وبعد:

نتوجه بالشكر الجزيل والامتنان الكبير لأستاذنا الفاضل "البروفسور" :نبيل مزوار الذي خصنا بتوجيهاته القيمة ونصائحه السديدة مذ كان البحث فكرة طارئة إلى أن صار ثمرة يانعة .

لقد كان لنا خير سند وموجه رغم كثرة ارتباطاته العلمية و المهنية الاجتماعية.

" محمد/ نور الدين "

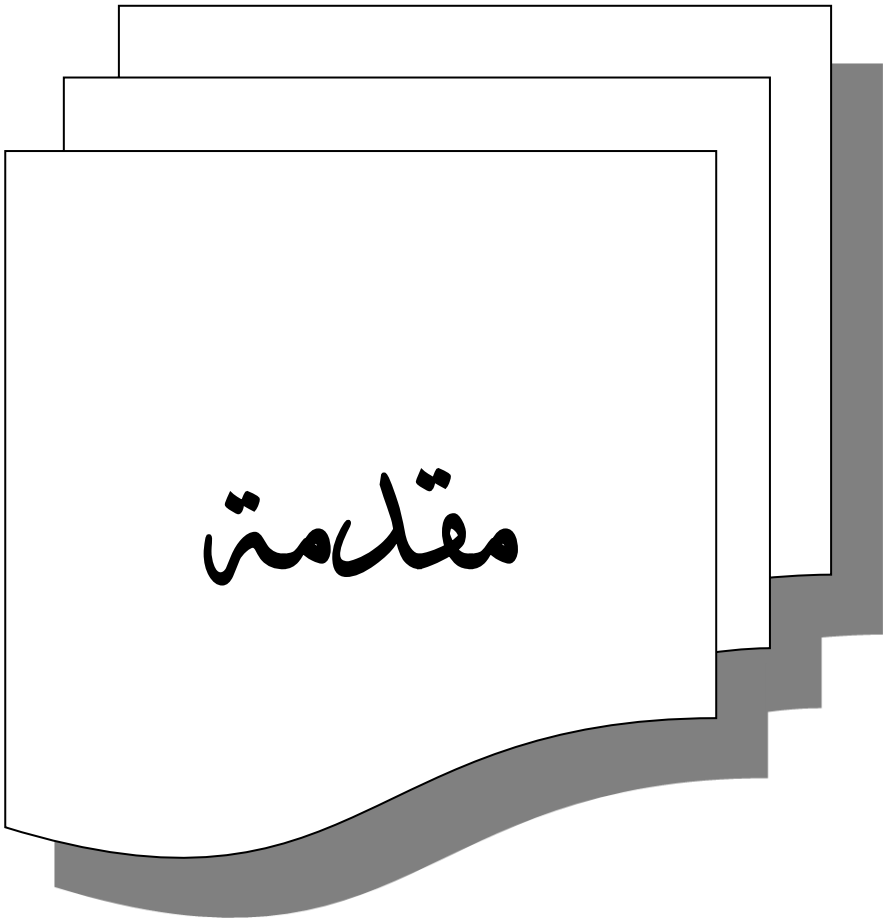
مقدمة

شهدت الساحة الأدبية في الآونة الأخيرة انتشارا واهتماما كبيرين بمجال الرواية بوصفها الفضاء التعبيري الذي يطرح مجموعة من قضايا العصر ويعالج عديد الإشكالات الفكرية والاجتماعية و الفنية وسواها، وهذا ما جعل الروايةُ العربية تمضي في رحلتها نحو النضج الفكري والفني، حتى باتت من أكثر الأجناس تعبيرا عن الواقع، وأكثرها استيعابا لمختلف قضاياه، فأصبحت كما يقولون بحق "ديوان العرب الحديث"،ديوان يرسم تجربة الحياة العربية ويرصد تحولاتها، ولا ريب أن لهذه التحولات المختلفة الأثر الواضح في اختلاف الموضوعات التي تطرحها أو تعالجها الرواية العربية.

ولعل أحد أهم الموضوعات التي تناولتها الرواية العربية قضية الأنا وعلاقتها بالآخر الذي لا يمكن أن تنفك عنه بأي حال من الأحوال كيفما اتفق الآخر على أن الأنا في الرواية العربية أخذ صورا مختلفة اختلفت معها ضمنيا صورة الآخر.

ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن من بين أبزر الروائيين العرب الذين تناولوا ثنائية الأنا والآخر الروائي السوداني طيب صالح حيث تظهر جدلية العلاقة بينهما بكل قوة ووضوح بتجليات مختلفة في عموم الآثار الإبداعية التي خلفها لنا، وهو ما لاحظه أغلب النقاد الذين عرضوا بالدراسة لتراث هذا الكاتب والروائي المتميز، بل قد تكون أبرز سمات وخصائص عالمه الروائي.

سيما راويته "موسم الهجرة إلى الشمال" وقد جسدت بامتياز جدلية العلاقة بين " الأنا والآخر" فيما يتعلق بمسألة اللقاء بين الشرق والغرب وتداعياته، لذلك وقع اختيارنا على هذا الموضوع لإعجابنا بكتابات الطيب صالح من جهة، ولتميز الكاتب في طرحه لمسألة " الأنا والآخر" على نحو كشف عمق العلاقة التي تجمع بين الشرق "الأنا" والغرب "الآخر" فضلا عن أسبابها وآثارها عليهما.

وهو ما وضعنا أمام سؤال ملح وهو: **كيف كانت العلاقة بين الأنـــا والآخـــر فـــي رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح؟**

وقد تفرع عن هذا التساؤل الأساسي أسئلة أخرى ثانوية أسهمت بنصيب وافر فـــي إزالة الغموض المتعلق بصفة هذه العلاقة من ذلك :

- ماذا يمثل الأنا في رواية موسم الهجرة إلى الشمال؟
- ما دلالة الآخر في الرواية ؟
- ما صورة الجدل بين الأنا والآخر في هذه الرواية ؟
- ما أثر اللقاء الأنا بالآخر في رسم العلاقة بينهما ؟

ولا نزعم أننا انفردنا ببحث موضوع "الأنا والآخر" أو أننا أول مـــن طرقـــه فقـــد تناوله باحثون كثر من ذلك :دراسة بثينة عبادي، فطوم الشيخ، الأنا والآخر عبـــر اللغـــة السردية في رواية "جراح الروح والجسد" لمليكة مستظرف، مذكرة لنيل شهادة الماســـتر في اللغة والأدب العربي، تخصص نقد حديث ومعاصر، جامعة الشـــهيد حمـــه لخضـــر، الوادي، 2019/2018.

- دراسة شهرة درسوني، إشكالية الهوية: جدل بين الأنا والآخر، عبد الله شريط نموذجا، مجلة متون، المجلد الحادي عشر، العدد الرابع، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، ســـعيدة، 10 أفريل 2020.
- دراسة زبيدة مونية بن ميسي، التواصل بين الأنا والآخر عنـــد ميرلوبـــونتي، منتـــدى الأستاذ، المجلد الثاني، العدد الأول، المدرسة العليا للأســـاتذة، آســـيا جبـــار، قســـنطينة، 2005.

–ومع أهمية هذه الدراسات إلا أنها لم تتناول الأنا والآخـــر عنـــد الكاتـــب فضـــلا عـــن الروايةمما يؤكد أهمية هذه الدراسة .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج الوصفي مع الانفتاح على غيره كالمنهج التاريخي والمقارن ..

وللإجابة على التساؤل الرئيسي اتبعنا الخطة الآتية وهي مكونة من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة وملحق.

يتناول المدخل حضور الأنا والآخر في السرد عموما وفي والرواية خصوصا.

أما الفصل الأول كان تحت عنوان ماهية الأنا والآخر، وبه مبحثان، حيث تناولنا في المبحث الأول مسألة الهوية، والمبحث الثاني عن ماهية الأنا والآخر.

بينما كان عنوان الفصل الثاني: علاقة الأنا بالآخر، وبه مبحثان، في المبحث الأول عالجنا أنماط الآخر وأثره في الأنا، وبالمقابل تطرقنا في المبحث الثاني إلى مواقف الأنا من الآخر.

أما الفصل الثالث فقد حمل عنوان "تجليات الأنا والآخر في الرواية وقد خصصناه للجانب التطبيقي، بتنزيل ما هو نظري على الرواية، وقد تم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول يتكلم عن الهوية، والمبحث الثاني عن أنماط الآخر وأثره في الآخر، والمبحث الثالث به مواقف الأنا من الآخر.

ثم ذيلنا عملنا هذا بخاتمة ضمناها مجموع النتائج المتوصل وملحق تطرقنا من خلاله إلى السيرة الذاتية للروائي وملخص عن الرواية.

ويدين البحث بالفضل لمجموعة من المصادر والمراجع التي كانت خير زاد في هذه الرحلة، ومن أهمها إشكالية الأنا والآخر لماجدة حمود وكتاب صورة الأنا والآخر في السرد لمحمد الداهي، وكتاب صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي .

ومع ذلك لم يسلم عملنا من بعض الصعوبات و العوائق التي يتعرض لها أي باحث في هذه المرحلة العلمية، وإن كانت حلاوة العمل تستدعي هذه المشقة فمن أكثر

الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز بحثنا الأزمة العالمية الحالية جائحة كوفيد 19 (كورونا فايروس) التي حالت بيننا وبين التنقل للجامعة والتزود بالمراجع وكذلك صعوبة الالتقـــاء بالمؤطر ومناقشة هذا العمل، ورغم ذلك استطعنا بفضل الله عز وجل ثم بما تيســـر لنـــا مجهودات متواضعة بمعية أستاذنا المشرف أن نخرج هذا العمل إلى حيز الوجود.

ونغتم هذه الفرصة الثمينة لنزجي عميق شكرنا وخالص تقديرنا إلى الأستاذ المشرف البروفسور نبيل مزوار على كل ما قدمه لنا من مساعدة ولكل من مد لنا يد العون في سبيل انجاز هذه الدراسة من قريب أو بعيد.

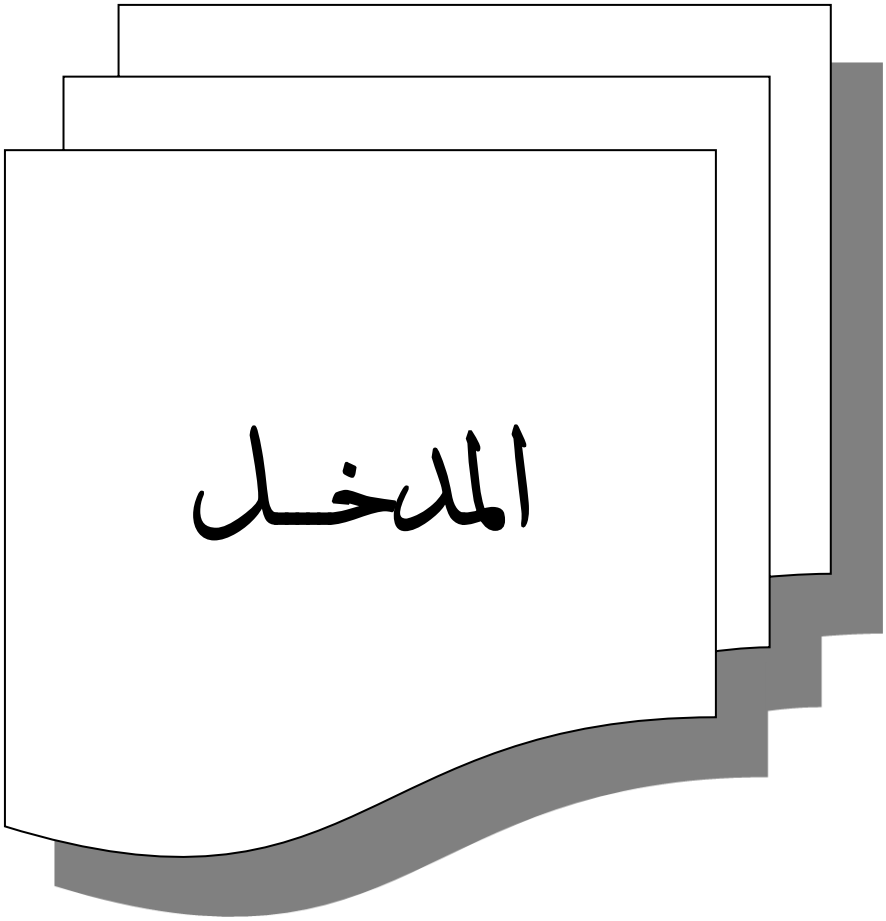
المدخـل

إن العلاقة بين الأنا والآخر وما تثيره من إشكالات من أهم المواضيع التي عالجتها الأعمال الأدبية الغربية والعربية سيما الرواية. ولا غرو في ذلك فهي "من أقدر الفنون على تقديم تفاصيل الحياة بكل حقائقها وأوهامها"[1]، " ويعزز مكانتها ما تتمتع به من حضور واسع لدى جمهور عريض من القراء والتي يسهل على أي منهم التعرف عليها من بين العديد من الأشكال الأدبية الأخرى "[2]نظرا لتميزها عن بقية هذه الأشكال، مع قدرتها على مواكبة الأحداث ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

لقد أتيح لهذا الجنس الأدبي أن يواكب حياة الإنسان ويعبر عن أفكاره وهواجسه شواغله وأحاسيسه وعواطفه وذائقته، بالتالي هي أداة أو وسيلة لرؤية الذات/ الأنا والآخر بلمسة فنية جمالية.

على أن موضوع الأنا والآخر في الرواية العربية ليس بالاتساع الذي عليه الرواية الغربية ثم إن القسم الأوفى منها يركز على البعد الحضاري بين الأنا و الآخر

لأن الأنا (الذات العربية) تعود عبر الأزمنة على شراسة، ووحشية، وهمجية، الآخر الغربي (المستعمر) فحاولت أن تعطي لنا صورة حقيقية، لشراسته ودناءته وغدره ونجاسته، وأن تجسد الصراع والصدام القائم بين الشرق والغرب منذ نشأة الكون، فإحساس وشعور" العربي بتفوق الغرب عليه في مجالات كافة هاجسا مريرا أحبط لديه كل محاولات تحسين موقف الأنا بإزاء الآخر والتفكير بالتفوق عليه وبالتالي كان الإحساس بالهزيمة مريرا ولا سيما وهو يحاول إثبات وجوده[3]".

ومن أهم الروايات الغربية التي تعرضت لجدلية الأنا والآخر :

---

[1] ينظر: خولة محمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، مارس 2013، ص 14.

[2] ينظر: حنان صالح، البنية السردية في رواية "تاء الخجل" لفضيلة فاروق، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015/2014، ص 22

[3] محمد صابر عبيد، جماليات التشكيل الروائي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص 72.

- رواية الكاتب الفرنسي ألبيركامو "الغريب"
- الروائي الإنجليزي إدغارمورغانفروستر "رحلة إلى الهند"
- رواية الكاتب السنغالي شيخ حامدوكان "التجربة الغامضة "
- رواية الكاتب النيجيري تشينوا أشيني "الأشياء تتداعى "

أما عن الأعمال العربية التي تعكس الصراع بين الأنا والآخر نذكر:

- رواية "أمريكا" لربيع جابر.
- رواية "نجمة" للكاتب ياسين.
- رواية "عصفور من الشرق" لتوفيق حكيم.
- رواية "قدر يلهو" للكاتب السوري شكيب جابري.

لقد حاولت معظم تلك الروايات أن تصور لنا أوضاع ومعاناة الأنا" العالم المتخلف" من خلال المرأة والاستعمار... وتطور الآخر في الجانب المقابل.

وأيما كان الخلاف بين الأنا والآخر إلا أنه لا يمكن أن توجد الأنا دون الآخر والعكس صحيح فهما يتفاعلان، سلباً وإيجاباً، وتظل العداوة محتمله حتى في حال السلم بين الطرفين، فالأنا تنظر إلى الآخر بصفته عدواً تارة وصديقا تارة أخرى[1].

وما يهمنا هنا هو أن جدل بين الأنا والآخر على اتساعه كان محور كتابات أدبية كثيرة ومتنوعة في الشرق و الغرب ولعل رواية موسم الهجرة للشمال للدكتور طيب صالح –موضوع دراستنا –هي واحدة من أهم الأعمال الإبداعية التي تناولت هذه القضية وهو ما نحاول أن نتعرف عليه من خلال هذه الدراسة.

[1] ينظر، محمد الداهي، صورة الأنا والآخر، في السرد، دار رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2013م، ص 11.

الفصل الأول:

دراسة مفاهيمية: الهوية، الأنا، والآخر

الفصل الأول: دراسة مفاهيمية: الهوية، الأنا، الآخر

المبحث الأول: الهوية مفهومها وحدودها

المطلب الأول: ماهيتها

يتسع مجال الهوية ليشمل معظم حقول المعرفة بالرغم من كونها تعتبر ضمن المصطلحات الحديثة والتي تشهد تطورا بارزا في مدلولاتها.

فالهوية في شقها اللغوي " مشتقة من الفعل هوى، هوة والهوية تصغير هوة وقيل: الهوية بئر بعيدة المهواة "[1].

أما محمد يعقوبي فقد اعتبرها " مصدر صناعي من كلمة هو للدلالة على أن الشيء هو هو وليس غيره، أو بأنه هو ولم يصر شيئا آخر، وهي الذات الثابتة من خلال تغير أحوالها مثل هوية الأنا "[2].

أما الهوية في معناها الاصطلاحي، فقد ربطها حسن حنفي بالإنسان إذ ذكر بأن " الهوية خاصة بالإنسان والمجتمع (الفرد والجماعة)، هي موضوع إنساني خالص، فالإنسان هو الذي ينقسم على نفسه وهو الذي يشعر بالمفارقة أو التعالي أو النفسية بين ما هو كائن أو ما ينبغي أن يكون بين الواقع والمثال، بين الحاضر والماضي، بين الحاضر والمستقبل هو الذي يشعر بالفصام، وهو الذي تنقلب فيه الهوية إلى اغتراب "[3].

فالإنسان وحده من يمكنه تحديد ذاته، ومن خلال وجود الهوية، يتجسد الوجود الذاتي وإذا تحقق الفصام فإنها تنقلب إلى اغتراب.

وهناك من يذكر معنى آخر للهوية والذي يحدد مدى ارتباطها الوثيق بالإنسان

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د/ط)، 1995م، ص 374.

[2] محمد يعقوبي، معجم الفلسفة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008م، ص 174.

[3] حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012، ص 11.

فالهوية حسب همهي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن إذ تلازمه مكوّنة شخصيته، محددة معالمه بشكل ثابت مما يمنح إبداعه طابعاً خالصاً، فلا يكون مسخا للآخرين، لهـذا تعد شرطاً ملازما للفرد"[1].

من هذا التعريف يتبين لنا أن الهوية هي الأساس الذي يكوّن الذات ويحفظ معالمها التي تميزها عن غيرها وتحقق لها التفرد.

وهناك من ربط مفهوم الهوية بالتراث معتبرين أن "فهمنا للهوية يبنى على تراثنـا الحضاري، فالهوية في ثقافتنا العربية الإسلامية هي الامتياز عن الغير من النواحي كافـة ولفظ الهوية يطلق على معاني ثلاثة : الشخص والشخص نفسه والوجود الخارجي "[2].

فالهوية وثيقة الصلة بالتراث, تعتبر الخزان الثقافي والفكري للشـعوب، والهويـة ترتبط بالفرادة والتميز على هذه المجالات وغيرها.

الهوية بالمعنى الفلسفي :

فالهوية ذات صبغة فلسفية، تسعى لفرض وجودها والخروج من دائـرة الـرفض والإمحاء إلى دائرة القبول والظهور والاعتراف

ثم" إنَّ الهوية إذا كانت إحساس الأنا بالانتماء، سواء كان هذا الأنا

فردياً أو جماعياً، فإنه لا يتحدد إلاّ بالآخر، فلو عدنا إلى فلسفات الأنا التي رسمت في الفلسفة الحداثة بفلسفات الكوجيطو أي الذات أو الأنا المفكر فسنلاحظ بأنها تخلص إلى إحدى النتيجتين: إما الاعتراف بالغيرية واستدخالها ضمن كينونة الأنا وربط الأنا بهـا، وإما السقوط في الأنا المتوحد بما يقيده من توحد وانغلاق "[3].

---

[1] ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، 1434ه، 2013م، ص 15.

[2] عبد العزيز بن عثمان التويجري، الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي، منشورات المنظمة الإسـلامية للتربيـة والعلوم الثقافية،اسيكو، ط2، 1436ه، 2015م، ص18.

[3] بول ريكو، الهوية والسرد، ترجمة: حاتم الورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر، 2009م, ص 26.

الهوية بالمعنى النفسي:

هي مجموعة من الصفات السيكولوجية الخاصة والعامة، وهذا يعني شعور الإنسان بالانتماء لنفسه ثم الانتساب إلى المجال العام الذي يكون من خلاله متواجد ضمن فئة من الناس تجمعهم تلك الصفات السيكولوجية المتماثلة بينهم ومن هنا يمكننا القول بأن الهوية" هي مجموعة من الأفكار الواعية وغير الواعية والعواطف التي تشكل معنى الـنحن لأن الوعي بالذات يؤدي إلى تكوين الهوية القائمة على الاختلاف والتمايز على الآخر "[1].

فهذا المفهوم يدل على ارتباط الهوية بالحالة النفسية للإنسان من حيث هو فرداً من جهة ومن حيث انتماء لجماعة معينة من جهة أخرى.

ويعرفها الدكتور فاخر عقل بقوله :" كون الشيء نفسه أو مثيله من كل الوجوه، الاستمرار والثبات وعدم التغير "[2].

الهوية بالمعنى الاجتماعي :

يرى علماء الاجتماع أن الفرد قادر على فرض نفسه وإبراز هويته رغم انتماءه لمجموعة كبيرة من الأفراد تشكل هوية مشتركة تجمع أفراد فئة معينة، قد يحقق من خلالها التماثل في عدا صفات وقضايا يحملونها سواء " أن الهوية الفرد يستمدها من المجتمع، ولا يمكنه أن يكتسبها من خارجه، إذ أنَّ الفرد داخل النسيج الاجتماعي "[3].

ومن خلال ذلك يتبين بأن الفرد لا يمكنه أن يتملص أو يخرج من دائرة الجماعة إذا أراد أن يحقق هويته، فهو إنسان اجتماعي بدرجة أولى والحيز الجماعي يساهم في تحدد هوية الفرد من خلال موضعه داخل هذا الغير.

---

[1] سعد فهد الذويج، صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، 2009م, ص 7.

[2] فاخر عاقل، معجم علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985م، ص55.

[3] ينظر: محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف، المرأة الكاتبة والهامش، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،1998م، ص 20.

المطلب الثاني: حدودها

1-الهوية بين مفهومي الانغلاق والانفتاح :(رؤية المثقف)

تتعلق مسألة الهوية بالأساس حول رؤية المثقف لانغلاق وانفتاح " أنا " الفرد حول نفسها وحول الآخر الذي يحقق لها الانفتاح والتطور انطلاقا من منظورها الخاص.

" إن المثقف لا يمكن أن يرى في الهوية تقوقعاً على الذات، كما أنه لا يمكن أن يرفض الانفتاح على الآخر، من أجل الحفاظ على مكوناتها، ومفهوم الثقافة الذي بمعنى الحركة والقوة وكسر الانحطاط فهو يقوم على التطور والاعتراف بكل معرفة جديدة، لذلك بدأ المثقف يرفض قمع إرادة التغيير وعرقلة أي محاولة لاختراق الحواجز العقائدية والعرقية التي تقيمها " الأنا " لأن الذات الخائفة من الإمحاء تزداد تفوقا على نفسها، ورفضا للآخر، لكن مكونات هويته القومية بصفتها جوهراً ماورائياً أو بنية ثابتة، وبذلك يخرجها من إطارها الجامد، وينظر إليها بصفتها شرطا يمكن تغييره. . . لهذا يعد أكثر الناس وعيا بالهوية، وقدرة على تجاوز المألوف"[1].

وهذه الرؤية هي التي تجعل النظر للمثقف مختلفا كما أن الهوية بالنسبة له"لا تتجزأ أبداً إلى أنصاف أو أثلاث، بل هي هوية واحدة تتشكل لدى كل شخص من مجموعة من العناصر لا تقتصر بالطبع على تلك المدونة في السجلات الرسمية".

ومع أن الهوية ليست فطرية إلا أننا نشعر أنها متوارثة بالمفهوم الاجتماعي للكلمة " لذلك حين يتهدد خطر خارجي أحد عناصر الهوية (الدين، اللغة...) فإنها تختزل في هذا العنصر، لكن في الأحوال العادية، لا يمكن لجماعة أو فرد أن يكون حبيس هوية ذات بعد واحد، فهي تتميز بطابعها المتقلب، الذي يمكن أن يخضع لتأملات مختلفة واستخدامات عدة تتأثر بالبيئة الاجتماعية والثقافية، التي بزغت فيها، مثلما تتأثر بتجاربها مع الآخر، سواء أكانت لقاء أم صراعا

[1] ماجدة حمود، مرجع سابق، ص16.

ومما سبق يتضح لنا أنه ما يتعلق بالهوية ومدى انغلاقها وانفتاحها عن الآخر يرجع لعدة أسباب وقناعات راسخة قد تدخل ضمن أولويات تحدد علاقتها بالآخر وهذا ما قد يبقيها في دائرة الانكماش والانغلاق على نفسها، بينما إقامة علاقات مع الآخر قد يضمن لها الانفتاح عليه والاستفادة منه مع الحفاظ على الهوية القومية، بصفتها جوهرا ما ورائيا أو عنصرا نقيا أو بنية ثابتة "[1].

وهذا ما يؤكده" المشروع السير ذاتي ل " خارج المكان "مدى تشبع صاحبه الذي ظل طيلة حياته محافظاً على صورة المثقف الحداثي الذي يشيد بهويته والمركبة الدينامية ويتفاعل إيجابيا مع كل ما هو محلي وقومي وعالمي ويرى " ذاته " في " الآخر" ويرى " الآخر " في " ذاته " دون أن يقع في التبسيط أو يسقط في المحاكاة الفارغة"[2].

فيما أن خوف الفرد العربي من انتهاك الغرب لخصوصيات الهوية العربية وثوابتها بفعل الخلطة والاتصال، يعد سبب الجمود والتأخر في مسايرة ركب الحضارة والثقافة العالمية، إلا أن الحياة الحديثة ومتطلباتها أرغمت الإنسان العربي على الانفتاح وتغير نظرته، والاستفادة من تجارب الآخرين، وهذا "بتمثل معرفة الآخر من دون مسخ هويتهم وذلك لم يكون إلا بالإبداع لا الجمود والتقوقع على الذات كلياً"[3].

2-الهوية بين الأنا وإشكالية الآخر:

إن جدلية العلاقة بين الأنا والآخر وعلاقتها بتحديد هوية الأنا لا تتحقق إلاّ بوجود النقيض الذي يمثل الآخر المختلف.

" إن الآخر هو المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي، وتتضح إشكالية الأنا (العربية، الإسلامية) والأخر الغربي بسبب سوء التفاهم والمواجهة

[1] ينظر: ماجدة حمود، المرجع السابق، ص 16.

[2] محمد الداهي، المرجع السابق، ص 299.

[3] ينظر: ماجدة حمود، مرجع سابق، ص 18.

السياسية والعسكرية، أما علاقة الذات به من الناحية الثقافية والاقتصادية والتقنية، فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها.

وهكذا لا تتضح ملامح الهوية من دون لقاء مع الآخر، إذ إن العزلة عنه تجعلها ذات بعد واحد، فيسرع إليها العطب والجمود، في حين نجد اللقاء معه يمنحها أبعادا مركبة، تتفتح على أكثر من عالم. . . . وقد وجدنا من يدعو إلى نفي الغرب من حياتنا، ويرى الهوية العربية نقيضا للآخر، وبذلك يبدو خائفاً متحصنا بها، خاصة حين يواجهه خطر خارجي، فتضيق نظرته، ويلجأ دفاعاً عن هويته إلى وضع الآخر في صورة نمطية، فغالبا ما تصف "الأنا" العربية الأخر الغربي، سواء أكان منتميا إلى الحكومة أم للشعب، في قالب العدو، الذي يعمل على مسخ هوية الذات.

إن مثل هذه الصورة النمطية، لم تتكون بتأثير العدوان الذي تعرضت له "الأنا" اليوم، بل بتأثير حروب الماضي أيضا، مما أنتج سوء تفاهم، يكاد يكون موروثاً، لذلك مازالت آثاره تنغص العلاقة بيننا وبين الآخر. فالعرب حين ينغلقون على ذواتهم بدعوى الهوية، يغلقون أبواب الحياة الحديثة، التي تعتمد العلم والمناهج الحديثة، فيعيشون زمانا غير زمانهم، ويبقون عالة على الآخرين، وكي يكونوا أبناء عصرهم فاعلين فيه، عليهم أن ينفتحوا على الآخر، ويتمثلوا معارفه، من دون مسخ هويتهم، وذلك لن يكون إلا بالإبداع، الذي يحقق تحررا حقيقيا من الآخر.

ثم إن أجدادنا لم يشعروا بالخوف على هويتهم، حين انفتحوا على ثقافة الآخر، لأنهم كانوا أقوياء واثقين بأنفسهم، حتى في عصر النهضة (في القرن التاسع عشر) كانوا أكثر ثقة وجرأة في حماية هويتهم، ألم نجدهم أكثر انفتاحا على الآخر، مما نحن عليه اليوم؟ الم يكونوا أكثر إيمانا بما يشكل ثوابت أمتنا؟ لهذا لم يهب أجدادنا من الحوار، على الرغم من اعتزازهم بخصوصيتهم! ألا يكمن العيب في ذواتنا اليوم، قبل أن يكمن في غيرنا؟.

إن الالتقاء والاحتكاك بالآخر لا يعني بالضرورة طمس هوية الأنا، بقدر ما يساهم في تطوير للذات وهي بحاجة دائمة إلى آخر مختلف كي تدرك نفسها من خلال ذلك الاختلاف، والاستفادة من الآخر من خلال تدارك النقص الذي قد يمس الذات " [1].

والقصد من ذلك التطور و التقدم لا الرجوع إلى الوراء والتخلف و محاولة التخلص من الفكر الرجعي السائد والمحافظة على معالم الهوية الكبرى .

المبحث الثاني: مفهوم الأنا والآخر

المطلب الأول: مفهوم الأنا

أ)-لغة:

وردت الكثير من المفاهيم اللغوية للأنا في المعاجم العربي وغير العربية بداية من معجم لسان العرب لابن منظور

" ورد في لسان العرب أن كلمة " الأنا " اسم مكنى وهو للمتكلم وحده وإنما بني على الفتح فرقا بينه وبين أن تأتي هي حرف ناصب للفعل أما الألف الأخيرة، إنما لبيان الحركة في الوقف "[2].يدل لفظ الأنا على المتكلم وحده، يعني الشخص في حد ذاته وما خرج عن هذا فهو الآخر.

أما في المعجم الوسيط فقد جاءت الأنا " بمعنى ضمير رفع منفصل للمتكلم أو المتكلمة "[3].

---

[1] ينظر، ماجدة حمود، مرجع سابق، ص ('17- 19).

[2] ابن منظور، لسان العرب، بيروت، لبنان، ط 1، 2000م، ص 38.

[3] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، ج1، (د/ت)، ص 28.

ب)-اصطلاحاً:

تعددت مفاهيم الأنا في الاصطلاح كثيراً، حيث اهتم بها الدارسون وجعلوها محل البحث، كما جاء في تعريف عباس يوسف الحداد يقول " يعكس مفهوم الأنا رؤية الذات ومعرفتها وإدراكها "[1]

بمعنى أن الذات محل الإدراك والمعرفة، يوضح هذا المفهوم معرفة الذات وتحسسها.

كما جاء في تعريف آخر للأنا لإبراهيم مذكور قوله " الأنا هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائما واحد ومطابق لنفسه، وليس من اليسير فصله عن أعراضه، ويقابل الخير والعالم الخارجي ويحاول فرض نفسه على الآخرين وهي أساس الحساب والمسؤولية"[2]

بمعنى أن الأنا هو مجموعة من الأفعال الشعورية والوجدانية عقلية أو إرادية بحيث تتحكم الأنا في جميع هذه الأفعال ويكون الأنا واحد ومطابق لنفسه. ومع هذا يحاول الهيمنة على الآخرين.

الأنا من منظور فلسفي:

إن الفلسفة في شكلها العام تستهدف البحث في علم الوجود ونظرية المعرفة وفي هذه الأخيرة ترجم مصطلح الذات بالماهية والتي تعبر عن تلك الخصائص الذاتية لموضوع معين وقابل للوجود، ومنه التعبير الشائع، الوجود والماهية"[3].

---

[1] عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط2، 2009، ص 189.

[2] إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة (د/ط)، 1983، ص 23 .

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة (د/ط)، 1983، ص 87.

ومنه يقترن البحث عن خصوصيات الذات وتفردها بالبحث عن إثبات الوجود والماهية فالوجود يقترن حتما بالأنا/الذات.

فهو " أولا وجودي أنا، أنا الذات المتفردة "[1].

فالأمر هنا يتعلق بمسألة تفرد الذات وعملها من أجل إقرار وجودها والذي تسعى من أجله، وهذا ما يحيلنا لمقولة ديكارت المشهورة والتي تقول فيها " أنا أفكر إذن أنا موجود"[2].

فهو حال أن يحصر مجال المعرفة الحقيقية في الأنا من خلال إقامة علاقة داخل الأنا من جانب الفكر وكذلك الوجود.

الأنا من منظور نفسي:

نجد هذا المصطلح شائعا وبكثرة في مجال علم النفس إذ يعرفه النمساوي سيغموند فرويد.

" أن الأنا هو ذلك القسم من الهو الذي تعدل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه تأثيراً مباشراً بواسطة جهاز الإدراك الحسي – الشعور–"[3].

بمعنى أن الأنا جزء من الهو وما يؤثر فيه هي نتائج العالم الخارجي بواسطة الإدراك الحسي. كماورد مفهوم آخر في معجم المصطلحات في علم النفس والذي هو يتمثل " في بنية الجهاز النفسي مجموعة من الدوافع والأفعال التي تهدف إلى تكييف جسم الإنسان مع الواقع ومراقبة وصول الحوافز إلى الشعور والحركة "[4].

---

[1] عبد الرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، النهضة المصرية، مصر ط2، 1996، ص 19.

[2] نجيب بلدي، ديكارت، سلسلة توابع الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، ط2، 1986.ص 200.

[3] سيغموند فرويد، الأنا والهو، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط4، 1982م، ص 24.

[4] عبد المجيد سالمي، نور الدين خالد، معجم المصطلحات علم النفس، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص 37.

بمعنى أن الأنا هو مجموعة من الدوافع التي تسعى لتحقيق تفاعل بين جسم الإنسان مع الواقع. كما نجد مفهوم الأنا " مبني على السيطرة، سيطرة الذات على ما تتخذه موضوعا لها، سواء أكان هذا الموضوع أشياء طبيعية أو أناس آخرين "[1].

فمن خلال هذا المفهوم يتضح لنا أن الأنا تمارس إقصاء للآخر بطريقة غير مباشرة وأحيانا غير شعورية بمحاولتها إعلاء قيمتها في مقابل الآخر وهذا ما يجعلها تتصف بالأنانية، لأنها تعتبر كل شيء هو ملكها.

المطلب الثاني: مفهوم الآخر:

أ)-لغة :

جاء في معجم الصحاح " الآخر بفتح الخاء، أحد الشيئين، وآخر يؤنث ويجمع بغير من وبغير الألف واللام وبغير الإضافة تقول مررت برجل آخر وبرجال أخر وآخرين وبامرأة أخرى وبنسوة أخر وتصغير أخرى أخيرى"[2].

أما في المعجم الوسيط " أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد "[3].بمعنى أن الآخر عكس الأنا ويقتصر على الجنس النقيض لأنا يكون في جميع الفئات والمجتمعات العربية والغربية.

ب)-اصطلاحاً:

الآخر عكس الأنا، الآخر الجماعة عكس الفرد والآخر بمعنى صفة الكل لا الجزء، يتضح ذلك من خلال الآتي:

[1] محمد عابد الجابري، الغرب والإسلام، الأنا والآخر أو مسألة الغيرية، مجلة الجابري، عدد 2، 2015م، ص 50.

[2] الجوهري، معجم الصحاح، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان، ط3، 2008م، ص 32،33.

[3] إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، (د/ط) ، ص 8.

الآخر يأتي بمعنى صفة كل ما هو غير أنا وفكرة الآخر بمعنى غير الأنـــا مقولـــة ابستمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة، أي كينونات موضوعية "[1].

والآخر من منظور الدكتور شاكر عبد الحميد حيث يقول:

أن الآخر قد يكون أحد الأفراد أو يكون جماعة من الجماعات أو أمة مـــن الأمـــم والآخر قد يكون قريباً وقد يكون بعيداً، وقد يكون صديقاً وقد يكون عدواً وتفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه"[2].

يتضح لنا من خلال قول شاكر عبد الحميد أن دائرة الآخر واسعة بحيـــث أن كـــل شيء أو شخص أو جماعة . . . إلخ، قد تمثل الآخر ويتعدد الآخر في أشكال بين العـــدو والصديق والقريب والبعيد وغير الأنا فهو آخر.

الآخر بالمعنى الفلسفي:

الآخر في المنظور الفلسفي مرتبط " بصفة كل ما هو غير أنا وفكر الآخر بمعنـــى غير الأنا مقولة ابستولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات المعرفـــة أي كينونـــات موضوعية "[3].بمعنى أن كل شيء خارج الذات أو بعيد عنها يمثل الآخـــر. فـــي قولـــه " الآخرون هم الأساس الأهم فينا وكيف نتعرف على ذاتنا، ويواصل حديثه في هذا المجـــال ويصرح بأنه محتاج بصفته " أنا " إلى الآخر لأكون ما أنا عليه فنظرة سارتر الوجوديـــة تؤكد على أن تحديد الذات لوجودها يقترب بالأساس على الآخر.

---

[1] سلاف بوحلايس، صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، مذكرة لنيل شهادة الماجســـتير فـــي الأدب الجزائري الحديث، باتنة، 2009/2008م، ص 08.

[2] عمر عبد العلي علام، الأنا والآخر، الشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ص 12، (نقلا) عن جابر عصفور فنون الآخر وآدابه، مجلة العربـــي، العـــدد 473، أفريـــل 1998م، ص78-80.

[3] ينظر عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيـــع، اللاذقيـــة، سوريا، ط2، 2009م، ص 281.

أما ميشال فوكو، فهو يؤكد على ضرورة وجود " أنا " ليثبت وجود " الآخر " وهذا ما اعتبره شرطا، ولكي يوجد الآخر لا بد من وجود " أنا " [1].

نفهم من خلال ما سبق تأكيد الصلة بين " الأنا " " الآخر" حيث أنه لا يمكن وجود دون صاحبه.

الآخر بالمفهوم النفسي:

يتعلق الآخر وفق هذا المفهوم" بمجموعة من السمات والسلوكات الاجتماعية والنفسية والفكرية التي ينسبها الفرد/الذات أو جماعة من إلى الآخرين "[2].

فالأمر يتعلق بمجموعة الصفات والخصائص التي يكونها وينعت بها الأنا أو مجموعة من الأفراد ذات الآخر المختلف.

أما جاك لاكان فإنه يرى " بأن المرء لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر فالطفل حيث يرى صوراً في المرآة فإنه لا يزال يستبدل صورة الآخر هذه بنوع من " الأنا " لكنه تدريجيا يدرك أن الصورة محض صورة خارجية بالنسبة للذات ومن هنا يصبح معاً فرداً مدركاً ومادة يدركها"[3].

هذا ما يبين جلياً بأن الآخر ما هو إلا انعكاس للأنا فهو تشكيل مخالف لوعي الأنا تجاه نفسها.

---

[1] ينظر سعد سامي محمد، الأنا والآخر في المعلقات العشر، رسالة ماجستير، إشراف جنان محمد عبد الجليل، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البصرة، 2012م، ص 3.

[2] سعد فهد الذويج، مرجع سابق، ص 10.

[3] محمد الخباز، صورة الآخر في شهر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص 22.

الفصل الثاني:

علاقة الأنا بالآخر

الفصل الثاني : علاقة الأنا بالآخر

المبحث الأول: أنماط الآخر وأثره في الأنا

تبقى العلاقة بين الأنا والآخر كل يراها حسب منظوره الخاص فيتميز الآخر بعـــدة أنماط وأنواع نذكر منها:

المطلب الأول: الثقافة والفكر

تعتبر الثقافة من بين أهم الأنماط التي تمثل الشخص أو الأمة في حد ذاتها، فهي تعطينا الصورة اللازمة عن حقيقة الإنسان وتوضح لنا مبتغاه، ونعرف بها أنماط عيشه وأفكاره, كونها تعتبر وليدة الذات الإنسانية، ففي معناها العام هي البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعدل، وكل القيم التي تصلح الوجود الإنساني ولا يدخل فيه تلك المعارف التي تفسد وجود الإنسان، وبالتالي ليست أي قيم وإنما الفاضلة فقط "[1] .

فالثقافة تتأسس على الذات والفطرة والقيم الايجابية

أما سلامة موسى يرى بأن الثقافة هي مجموعة من المعـــارف والعلـــوم والآداب والفنون يستعملها الناس و كل من يستعملها استعمالا صحيحا سليما يطلق عليه لفظ المثقف

أما عن الاستعمار المهيمن " فهو سبب التساؤل عن حال الآخر، فأصبحت الثقافـــة السائدة أوروبية وأمريكية وعلى الآخر الرجوع إليه"[2]

يعني أن الآخر رغم رحيله يبقى فكره وثقافته مهيمنة ومتحكمة في زمام أمور الأنا وسبب التحكم هي القيم التي رسخها المستعمر في المحيط المستهدف.

يعتبر الفكر من أنماط الآخر وأشدها تأثيرا على الأنا في جميع المجـــالات، وهـــذا النمط يتجسد كثيراً في الدين.

---

[1] غادة الطويل، الثقافة العربية جذور وتحديات، kb.com للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص4.

[2] صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، قراءة محمد خير فرج، تح الطاهر لبيب، بيروت، مركز دراسات الوحـــدة العربية، دط، 1999م، ص 222,223.

" ويأخذ على التطهيرية – الأصولية– مثلا بعدها عن الحياة وافتتانها بالموت فالأصولي لا يشبع أبداً من ارتقاء الكمالية، فهو في حرب دائما مع كل مظاهر الشر والسلبية بحيث أن إشكالية بعض الأصوليين تكمن في تصوير الآخر قبل معرفته فكان التسرع في إطلاق الأحكام حتى قسم بعضهم المجتمع إلى: جاهلي أو إسلامي"[1] .

بمعنى أننا نحصر الآخر في كونه يمثل المجتمع غير مسلم والأنا في المجتمع المسلم، فيظهر الفرق واضح والصراع الدائم بين الإسلام والكفر.

ومفهوم الآخر عموما في الفكر العربي" يعني ما هو خارج إطار العروبة والإسلام بما يحمله من قيم ودين وإيديولوجيات مختلفة "[2].

أما العرب أصبحوا معجبين بالثقافة الغربية وأصبحوا يمارسونها في أوطانهم وتقبلوها.

"أما الذي لا يمكن الاحتراز منه فهو أن التلاقح بين الثقافات هو المقصد الأسنى والسعي نحو الملامح المشتركة هو المرتجي والتعددية الثقافية هي المنتهى وهي الحقيقة الباقية بقاء الأرض في فلك سيار"[3].

مهما فعلنا فإن تلاقح الثقافات لا نستطيع أن نمنعه في ظل هذه التكنولوجيات فإن العالم يتحول إلى قرية صغيرة بداعي العولمة.

فالثقافة قد تمثل طريقة العيش المتمثلة في التقاليد الشعبية وطريقة لبسهم.

نتيجة الرحلات العلمية والحروب تتلاقح الثقافات العربية والغربية.

---

[1] محمد خير الفرج، المرجع السابق ، ص 225.

[2] نوال شارف، تحولات صورة الآخر في الرواية العربية الحديثة، عصفور من الشرق أنموذجاً، مذكرة شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2015/06/03م، ص 24.

[3] إيهاب النجدي، صورة الغرب في الشعر العربي الحديث، تح محمود البجالي، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود، البابطين للإبداع الشعري، الكويت، (د/ط)، 2008م، ص 16.

ففي "الأندلس" مثلا انتقل الشرق إلى الغرب عابراً برزخاً مائياً وظهرت في هذه الفترة أسماء مثل "بن رشد، ابن طفيل، بن يدون وهناك ضربت أشجار عربية جذورها في تربة أوروبية فأخرجت ثمراً غربياً طعمه شرقي[1].

بمعنى أن تلاقح الثقافات ظاهراً مع اختلاط الشعوب الغربية والعربية.

المطلب الثاني: العلم والحضارة

وهي من أبرز الأنماط التي يتميز بها الآخر ومن ثم تكون مركـــز جـــذب للأنـــا المتشوقة للبعد الحضاري الذي يمثل علامة فارقة وهو ما يحتم على الأنا مواكبة العصر

وأن لا يبقى متمسكا بماضيه السلبي، الذي يربطه بدائرة التخلف والتراجع، بدعوى عدم الانفتاح على الآخر المختلف .

فتوفيق الحكيم يعتبر الأدب الراقي دليل على وجود حضارة وهو الذي يقول : "إذا أبصرت شعاعا فأعلم أن وراءه كوكبا وإذا رأيت أدبا فأعلم أن وراءه حضارة " [2].

بالرغم من أن توفيق الحكيم حصر الحضارة في الأدب، إلا أن الأمر يفوق الأدب إلى كل ما هو مشع وبارز ومتميز.

هذه هي الحضارة عند الغرب، تبقى الحضارات في صدام وصراع دائم "ولعل أبرز المواقف التاريخية بين الشرق الإسلامي والغرب هي لقاء المسلمين بالرومان منذ غزوات (تبوك/اليرموك) الصدام العنيف بين أوروبا (الآخر) وبين الإسلام (الأنا) تحت شعار الحروب الصليبية"[3].

أكيد لكل أمة حضارة وتاريخ فلا يمكن أن تتخلى عنه سواء كانت على صواب أم خطأ.

---

[1] حسين لمؤنس، رحلة الأندلس، الشركة العربية للطباعة، (د/ط)، القاهرة، 1963، ص 20.

[2] ناجي نجيب، توفيق الحكيم وأسطورة الحضارة، دار الهلال، (د/ط)، 1987م، ص 156 .

[3] إيهاب النجدي، مرجع سابق، ص 26.

وكذلك الغرب عندهم حضارة يعتزون بها وصلتنا نتيجة الاتصال الوثيق بين الآخر والأنا ذلك أن التبادل الفكري رافق التبادل التجاري بين الفريقين.

أكيد مع التواصل يأتي كل شيء وينتج عنه تنوع الثقافات والأفكار وتمازجها وينعكس ذلك على جميع المجالات الأخرى.

والحقيقة التي آمن بها عدد من الدارسين هي أن الحروب الصليبية (الفرنجية) قد مثلت لقاءً داميا واتصالاً وثيقا بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي.

"يرى برناردلويس تماماً في كتابه " تاريخ اهتمام الانجليز بالعلوم بقدر ما يراه محدود المدى والأثر.

لكنه يؤكد على أن وصول حركة الفكر والعلوم إلى الغرب كان عن طريق آخر طريق الأندلس"[1].

رغم الصدام والصراع بين الحضارات وبين الأنا والآخر والغرب والعرب إلا أن هناك تواصل بين الحضارات الغربية والعربية.

فقد وجد المستشرق فرناندو دي لاجرانخا "أن ما يحكيه ابن سعيد في المغرب نقلا عن ابن بشكوال فيما يقوله القناعي القرطبي عن نفسه هو الأصل الذي نقل منه دون خوان مانويل"[2].

بمعنى أن الحضارة تكمن في التعايش والتعارف بين الأنا والآخر وعلى الجميع تقبل هذا الرأي، لأجل بناء حضارة.

[1] إيهاب النجدي، مرجع سابق، ص 32.

[2] محمد زكريا غناني، الموشحات الأندلسية، عالم المعرفة، العدد 31، الكويت، ص 23.

المطلب الثالث: الإستعمار والهيمنة

وهو شكل من أشكال الصراع بين الأنا والآخر وفي الحياة العربية كانت القوة الغربية تسعى إلى إبادة الشعوب العربية والإفريقية، وأصبح هذا الصراع أشد ضراوة بمقدار ثراء تلك البلدان، فهو عبارة عن "عملية كسب مكاني قائم على أساس قيام مجتمع معين بالتوسع خارج منطقة استقراره الأصلية " [1] .

إذا فهو نوع من أنواع السيطرة وفرض القوة .

إلا أن ذلك لم يمنع من التواصل بين الأنا والآخر حتى بعد الاستقلال

وهو ما تؤكده بعض الروايات والدراسات من أن الكثير من النخبة العربية (الأنا) أكملت المرحلة الجامعية في الغرب الأوروبي (الآخر)،خلاف لما كان متوقعا من سيطرة روح الانتقام و المقاطعة. وهناك من مال منهم إلى ذلك بطريقة غير مباشرة من ذلك

"روايتنا موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح إذ انتقم بطلها لنفسه ولمجتمعه من الغرب والذي هو جزء من الآخر ولعله المحرك الأساسي لجميع الأنواع الأخرى بحكم أنه يمثل مجتمعا تسوده قيم مختلفة بالمقارنة مع العدوة الأخرى تجسدها " شخصية منظمة ملتزمة بالنظام ومحبة للعمل بجد تكافح لإنجاحه بكافة السبل المشروعة وغيرها، وظهر أن الآخر عاشق للحرية والانطلاق من أسر القيود، منغمس في رغباته وملذاته، يبذل محاولات عديد لإشباع غرائزه المتدافعة في أشكال سافرة منفرة تكشف عالمه المادي المسيطر .. وخيراته وجماله؛ فبالرغم من غزو الغرب للشرق واستقلال الشعوب والمستعمرات إلا أنه لا يزال حاضراً بقوته وسطوته، بالآثار والمبادئ الخبيثة التي

[1] محمد عبد القادر خريسات وآخرون , تاريخ الحضارة الإنسانية , دار الكندي للنشر والتوزيع , الأردن , دط ,1999م , ص384.

غرسها في الشرق وأهله فجعله مرتبطا به ومجذوب نحوه "[1]. وهو ما يؤكد مدى ارتباطه بمحددات سياسية وثقافية ودينية تضبط حالته الفكرية , هذا باعتبار أن "الغرب يعد مفهوم أيديولوجي أكثر منه جغرافي "[2].

إن تطور الغرب جاء ثمرة كفاحه والتزامه وحبه للعمل وعشقه للحرية، وهو سر هيمنته على(الأنا) .

فالاستعمار سواء كان مباشرا أو غير مباشر فهو بالضرورة يمارس هيمنة على الطرف المستعمر وقد يكون ذلك بداعي التهشيم و الإقصاء .

تبرز أشكال الآخر من خلال عدة محددات أهمها الثقافة والفكر، الحضارة والعلم، الاستعمار والهيمنة، ومنها ما يؤثر عليه بالسلب أو الإيجاب وذلك حسب موقفه منها .

أما عن طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر الاستعمار والمستعمر فهي شبه مستحيلة.

"فالانصهار بين الأنا والآخر محكوم عليها بالفشل لأنه لا يمكن أن يلتقي الأنا المعتدي عليه مع الآخر المعتدي، فالحوار القائم بين الطرفين حوار عبثي لا يمكن أن يؤدي إلى تفاعل حضاري إذ لا يمكن أن يلتقي القتيل مع القاتل على قاسم مشترك يوحد بينهما"[3].

بمعنى أن العلاقة منعدمة بين الأنا والآخر والمفاوضات بينهم لا فائدة منها وهذا هو الواقع. فلا يمكن أن يؤدي إلى تفاعل حضاري أي الحوار.

وساهم كذلك البابوات في إشعال الحروب والفتن.

---

[1] محمد كمال عبد العليم سرحان، الذات والآخر في رواية حب في كوبنهاجن لمحمد جلال، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الحديث، جمهورية مصر العربية، ص (263،264) .

[2] Serge Latorche, L'occidentalisation du monde, essaisur, la signification, la portéeet les limites de l'uniformisationplanétaire, La Découverte, paris, 2005, p 11.

[3] بسام قطوس، علائق الحضور والغياب في شتاء ريتا الطويل، مجلة الدراسات الجامعية، الأردن، ص 213.

"تتعدد الظروف والدوافع التي دفعت البابا أوربان الثاني 1095م في مجموع كليرمون الديني بجنوب فرنسا إلى دعوة الأوروبيين إلى الحرب المقدمة باسم الصليب ضد المسلمين في فلسطين"[1].

نستنتج أن لا مجال للحوار والصلح بين القاتل والقتيل الأنا والآخر إلا في حالة أخذ القصاص وإحقاق الحق. دائما هناك غرب وعرب هنا وهناك (أنا) و(آخر) أم الحديث عن الغرب فهو الحديث عن حضارة كبيرة وقوة علمية وتكنولوجية كبيرة, تمارس هيمنة على الأطراف الأقل قوة .

"إن موسوعة العلوم السياسية تقرر أن أوروبا والجماعة الأوروبية تمثلان أهم وأضخم التجارب الاندماجية في العالم المعاصر وقد تتشكل الكيان الحالي لهذه الجماعة من أربع هيئات هي البرلمان الأوروبي، اللجنة الأوروبية، ثم المحكمة والعدل"[2].

بمعنى أن الغرب تمثل في أوروبا التي تمثل أضخم قوة اقتصادية وتجارب اندماجية في عالمنا المعاصر تتشكل من البرنامج واللجنة والمحكمة والعدل.

هذه القوة الكبيرة المتمثلة في الآخر (الغرب) أما الأنا (العرب) المختلفة المتدهورة في حياتها تنظر للغرب بعين أنه دائما الغالب وهي المغلوب (الأنا) والمغلوب دائما مولع بالغالب يرى فيه صورة الكمال.

"ويقارن بين الشباب المصري التائه حيث يعاني من المستقبل المجهول بينما الشباب الأوروبي عركَتّه الحروب ألقت به في أتون الحياة"[3].

---

[1] ايهاب النجدي، مرجع سابق، ص32.

[2] محمد محمود ربيع، إسماعيل صبري، موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، مجلد 1، 1993/1994م، ص 36.

[3] وجيد يعقوب السيد، صورة الذات الآخر، دراسة في أنماط السيرة الذاتية، الثقافة والعلوم، ط 1، 2018م، ص (21/20).

بمعنى أن الشباب المصري (الأنا) أسوأ حالاً من الشباب الأوروبي (الآخر) في جميع المجالات بل أن العرب كلهم أسوأ حالاً من الغرب.

المبحث الثاني: موقف الأنا من الآخر

المطلب الأول: الإعجاب والتقدير

تعد الرؤية الحضارية من أهم مواقف الأنا من الآخر، التي تنم عن مدى الإعجاب والتقدير للآخر، حيث كان لها حصة الأسد من بين جميع المواقف الأخرى، وهي التي ترى بأن انغلاق الذات العربية على نفسها لا ينفعها، بل لابد من تبادل الخبرات والمعارف مع الغربي .

فهذا الموقف "يأبى الانكماش على الذات ,لأن إنكار الثقافة الغربية لا يستطيع أن يشكل في حد ذاته ثقافة، ولأن الرقص المسعور حول الذات المتفردة، لن يجعلها تنبعث من رمادها "[1].

ففي هذا دعوة إلى تقليد الآخر الغربي ولكن بنظرة معتدلة ومتوازنة لا تميل للتقليد الأعمى

الأمر ينطبق كذلك على رؤية المبدع الحقيقي " فالروائي مثلا يتجاوز الأفكار والأوهام المسبقة التي تشوه صورة الآخر، مثلما تشوه الأنا، فيفضح أولئك الذين يستعلون على الآخر ويقصونه، وبذلك مارس عبر إبداعه الروائي نوعا من النقد الذاتي، لنبذ الكراهية وبناء جسور التفاهم والمحبة بين الأنا والآخر"[2].

وذلك من أجل تقليص الفوارق، في حين سجلت العديد من الروايات مدى التباعد والتفاوت الحضاري بين الغرب والشرق، والعلم والتكنولوجيا من جهة والجهل والمعتقدات الخاطئة من جهة أخرى .

---

[1] وجيد يعقوب السيد، مرجع سابق، ص 38.

[2] ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص 49.

" أما الوصول إلى أرضية تفاهم مواءمة بين ما يبرزه العلم وما تثبتــه المعتقــدات ليس بالشيء الهين، إلا أنها ترجيح لكفة الفكر في استحضار الطريقة المثلى للوصول إلى عين النجاح "[1]، ويبقى الغرب دائما متطور علينا في الفكر ولكن نحــن (الأنــا) تمســكنا بمعتقداتنا وابتعدنا على الفكر والعلم.

المطلب الثاني: الإنبهار والتماهي

إن انبهار الأنا ووقوعها تحت تأثير الآخر يبرز بجلاء موقف الأول من منجــزات الثاني بحيث يظهر مبشرا بأطروحات الآخر وشارحا لها معتقدا صوابها مبالغا في وصفها وتقديره لها متوسما نجاحا في بيئته ويعزو ذلك له دون أدنى حرج أو تحفظ وهو ما أكدته .فاطمة موسى " من أن اتصال الكاتب العربي بالغرب في مطلع هذا القرن هو ما يســير أمامه الطريق، ويدفعه للوعي بهويته عبر الأشكال السردية الحديثة أي الرواية والقصــة القصيرة "[2].

وإذا كان الانبهاريمثل ذروة الإعجاب ,فالتماهي يظهر مقدار الاستلاب الثقافي الذي يعاني منه الأنا وهو يشيد بفكر الآخر بالجملة رغم مخالفته للثقافة الأم بــل ومســلما بكــل مــا يعرضه الآخر من بضاعة فكرية دون أدنى اعتراض أو نقد بل ويتجاوز التفســير إلــى التبرير كما يدفع بعضهم للاستهانة بتراثه أو النيل من حضارته كما جاء على لسان سلامة موسى

[1] شريف موسى عبد القادر، أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية، مقاربة نفسية، مذكرة لنيل شهادة الــدكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة تلمسان، الجزائر، 2004م، ص 284.

[2] ينظر فاطمة موسى في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القــاهرة، (د/ط)، 1975م، ص (231، 232).

" هذا هو مذهبي الذي أعمل به طول حياتي سراً وجهراً، فأنا كافر بالشرق ومؤمن بالغرب، وفي كل ما أكتب أحاول أن أغرس في ذهن القارئ تلك النزاعات التي اتسمت بها أوروبا"[1].

فهو يحاول زرع أفكار الغرب. لاعتقاده الراسخ بصوابها وصلاحيتها ولو خارج بيئتها.

المطلب الثالث: الرفض والمقاومة

ومن خلاله يرفض الأنا فتح باب الحوار مع الآخر وتكريس المقاومة والمغالبة في رسم العلاقة مع الآخر حيث .ينظر الرافضون أن الحوار خديعة، من ذلك دعوات الحوار من قبل المسيحيين في ظل الغلبة والقهر وفي ظل سياسة الاقتناص معتبرين ذلك مساراً لتمويه مقاصد الهيمنة والاحتلال.

ولسان حالهم "مع من نتحاور ؟ فهذا الحوار هو حوار الحمل مع الذئب"[2].

بمعنى أن هذا الحوار نوع من الاستدراج للأنا كيفما اتفقت قضيته فإذا كان موضوعها الإسلام فمطلوب منه التخلي عنه والقبول بغيره من الأديان المتفرغة.

وهذا ما جسدته "فكرة الاستعمار الحديث الذي قام على الغلبة والهيمنة، وفرض النموذج الأوروبي والأمريكي على شعوب آسيا وإفريقيا"[3].

وقد فتحت فكرة الاستعمار الحديث الباب لتأجج الصراع من جديد والانتقال لمرحلة العدوان.

---

[1] محمد راتب الحلاق، نحن الآخر، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997م، ص370.

[2] إبراهيم الخولي، حوار الأديان، برنامج الاتجاه المعاكس، قناة الجزيرة الفضائية، قطر، www.youtube.com/watch?V=JJ55R3IMAX

[3] باديس فوغالي، مرجع سابق، ص9 .

يبقى (الأنا) المستعمر ينظر بنظرة مشحونة بالكراهية للآخر (الاستعمار) حتى وأن أخذ (الأنا) الاستقلال والحرية، بحيث يراه ذلك " المخلوق المخيف له شكل فضيع، يتمتع بحضور قوي جدا، لدرجة بعث الخوف في الآخرين "[1].

تتأرجح مواقف الأنا تجاه الآخر بين الإعجاب والتقدير وبين الانبهار و التماهي بينما يقترن الموقف الثالث بالمقاومة ومدى رفض الآخر تبعا للعلاقة التي تربط الطرفين .

[1] عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص136.

الفصل الثالث:

تجليات الأنا والآخر في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح

المبحث الأول: الهوية (الأنا بين الانفتاح والانغلاق)

المطلب الأول: الأنا والانفتاح:

تفضل أنا البطل "مصطفى سعيد" في رواية موسم الهجرة للشمال الانفتاح على كل ما يعني الآخر وهذا من أجل تطوير الذات، واكتساب هذه الأنا قدرة على تجاوز المألوف حيث "ابتعدت عن التعامل مع مكونات هويتها القومية بصفتها جوهر ما ورائيا أو بنية ثابتة"[1].

فمصطفى سعيد في الرواية تبنى فكرة الانفتاح على الآخر حضارة وثقافة حيث أكمل دراسته في انجلترا لمدة سبع سنوات، تعلم خلالها الكثير "كانت لندن خارجة من الحرب ومن وطأة العهد الفكتوري، عرفت حانات تشلسي، وأندية هامبستد ومنتديات بلومزبري، أقرأ الشعر، وأتحدث في الدين والفلسفة، وأنقد الرسم، وأقول كلاماً عن روحانيات الشرق"[2]، هذا وقد تعلم وأجاد اللغة الإنجليزية حتى أبهر أحد مستمعيه فقال له :"انك تتحدث اللغة الانجليزية بطلاقة مذهلة"[3]، ويذكر أنه تعلم "حب موسيقى باخ، وشعر كيتس، وسمعتعن مارك توين لأول مرة "[4]، كل هذا كان قد تعلمه من مسزروبنسن، زوجة مستر روبنسن.

---

[1] ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص 16.

[2] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، تقديم توفيق بكار, دار الجنوب للنشر , 1979م, ص 52.

[3] المرجع نفسه، ص 50.

[4] المرجع نفسه، ص 51.

المطلب الثاني: الأنا والانغلاق

ليس غريبا أن تجسد وتصور لنا هذه الرواية الانغلاق القائم بين الأنا والآخر وغلق المنافذ في وجهه (الآخر) باعتبار ما كان منه أيام الاحتلال، والقمع والظلم ومع ذلك فالانغلاق كان نسبيا ويتضح هذا بعد عودة مصطفى سعيد إلى السودان.

عندما قالت له بنت مجدوب ضاحكة: «خفنا أن تعود إلينا بنصرانية غلفاء»[1]، وهو يوضح انحسار الانغلاق بمعنى أنه انغلاق محصور أمور كالزواج بالغربيات وكانت النظرة إليهم من طرف الأنا نظرة دونية نصرانية غلفاء.

لكن هذا لا يمنع من التواصل مع الآخر فمصطفى سعيد ذهب للآخر ليكمل دراسته في الجامعة الانجليزية لكي لا ينسى أن السودان محتلة من طرف الانجليز.

ومن خلال الرواية نرى أن الأنا كان انفتاحها نسبي كذلك الانغلاق حيث عاشر مصطفى سعيد الانجليز لكنه كان يرى نفسه محافظاً وما فعله من محاولات جنسية يراه انتقام ولا يراه غير ذلك

"أحس أنني لست ريشة في مهب الريح، ولكني مثل تلك النخلة، مخلوق له أصل، له جذور، له هدف"[2].

بمعنى أن مصطفى سعيد بعد عودته من انجلترا كان يرى نفسه مخلوق له أصل وهدف ورمز بالنخلة لأنها رمز الثبات والأنا المتحفظة على ذاتها.

"سبعة أعوام وأنا أحن إليهم وأحلك بهم"[3].

---

[1] الطيب صالح، مرجع سابق، ص 31.

[2] المرجع نفسه، ص 30.

[3] مرجع نفسه، ن ف.

يتضح لنا من قول مصطفى بعد عودته إلى السودان أنه كان في شوق كبير لأهله ولوطنه، كأنه ذهب مرغماً ومكرهً لشدة كره للآخر الغرب لكنه ذهب بهدف الانتقام ولابد أن ينتقم، كان يرى نفسه أن يمثل الأنا (السودان) حين يكون في علاقة جنسية مع الغربيات (الآخر)

وهذا ما يدعو إلى الانغلاق في ذات (الأنا) لو كانت منفتحة لنقلت الحضارة الغربية إلى السودان.

وخلاصة لما سبق يتضح لنا أن الأنا وانغلاق انغلاق نسبي حيث أنها عايشت الآخر بشكل أو بآخر.

فانغلاق الأنا على الآخر، خوضها حروب عديدة لتحرير أرضها، يدل على وعيها وإدراكها للآخر المختلف عنها دينيا، لغويا، ثقافيا . . .إلخ.

المبحث الثاني: أنماط الآخر في الرواية

المطلب الأول: الثقافة والفكر

جاء في الرواية عن ثقافة الغرب والآخر بصفة عامة " نحن كنا ننطق الكلمات الانجليزية كأنها كلما عربية لا نستطيع أن نسكن حرفين متتالين، أم مصطفى فقد كان يعج فمه يمط شفتيه....وكنا نطلق عليه من الإعجاب والحقد "الانجليزية الأسود""[1]. بمعنى أن مصطفى سعيد كان متشبع بالثقافة الغربية وكانوا يطلقون عليه الانجليزي الأسود لكونه سوداني الأصل لم يمنعه من تعاطي ثقافة الآخر وتعلم لغته.

وتمثل التعايش والتعارف مع الآخر في الأخذ من ثقافة الآخر ومشاركته في أفكاره.

وهناك من ينظر للآخر على أنه إنسان فيه الخطأ وفيه الخير وفيه الشر وهذا ما جاء في رأي محمود درويش "اليهود بينهم السيء وبينهم الجيد وهم ليسوا ملائكة كما يريدون أن يقولوا عن أنفسهم وليسوا شياطين وهذا ما يشير إلى أنهم شعب طبيعي"[2].

يوضح محمود درويش رأيه في الآخر على أنهم شعب طبيعي كمثل باقي البشر.

وكذلك في الرواية أن هناك من (الأنا) تشبع بثقافة (الآخر) تمثل هذا في المقطع التالي:

"مصطفى سعيد كان أول سوداني تزوج انكليزية، بل أنه كان أول سوداني تزوج أوروبية إطلاقاً"[3].

---

[1] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، مرجع سابق ,ص 68.

[2] خليل عودة، جدلية العلاقة بين الأنا والآخر في سيناريو جاهز لمحمود درويش، جامعة النجاح، (د/ت)، ص 60.

[3] المرجع السابق، ص 70.

يدل هذا على أن مصطفى تشبع بالثقافة الغربية (الآخر) حتى النخاع وصل به الأمر إلى الزواج منهم هذا ما يسمى الثقافة.

تتنوع الثقافات بتنوع الشعوب والأمم وتمثل هذا في المقطع التالي من الرواية

"الرجال صدورهم عارية، يلبسون سراويل طويلة، يقطعون أو يزرعون، حين تمر بهم باخرة يرفعون قاماتهم ويلتفتون إليها برهة ثم يعودوا إلى ما كانوا فيه"[1].

فهذا يمثل طريقة أو أسلوب حياة معينة.

المطلب الثاني: العلم والحضارة

يعتبر الفكر من بين الأنماط المحددة للآخر الغربي بشكل خاص والآخر المختلف بشكل عام، فمن خلال الفكر ونوعيته يتحقق وعي الذات بنفسها وبغيرها، فهو يساهم في كسر الحواجز بين الأنا والآخر من خلال "التعرف والتعارف وهما ضرورة أما القطيعة والانغلاق فهما الكارثة الحضارية المؤكدة للذات قبل الآخر"[2].

وهذا ما يساعد على تحقيقه الفكر الواعي بحقيقة الأمر على أرض الواقع، وهذا تحقق في الحوار الذي دار بين مصطفى سعيد وناظر المدرسة حول مصير دراسته، حيث قال على لسان الناظر "هذه البلد لا تتسع لذهنك، فسافر، اذهب إلى مصر أو لبنان أو انجلترا ليس عندنا شيء نعطيك إياه بعد الآن، قلت له على الفور: أريد أن أذهب إلى القاهرة"[3]. فقد كان مصطفى محقاً في طلبه وهو في طريقة لطلب والمعرفة من القاهرة، وهذا ما يؤكده "وايتهد" حيث نعت أن حضارة الغرب كلها ترتد إلى أصول ثلاثة: اليونان، فلسطين، مصر، فمن اليونان فلسفة ومن فلسطين دين ومن مصر علم وصناعة"[4].

---

[1] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، مرجع سابق ,ص76.

[2] ايهاب النجدي، مرجع سابق، ص 16.

[3] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، ص 46.

[4] ينظر: زكي نجيب محمود، الشرق الفنان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د/ط)، 1993م، ص 59.

ونجد صورة الفكر القاصر تنطبق كذلك على شخصية "بكري" حيث كان يوجه كلاما "ولد الريس" فقال: "أنت يا ود الريس مجنون، رجل كبير لكن ما عندك فهم، النسوان نسوان في مصر أو السودان أو العراق أو واق الواق، السوداء والبيضاء والحمراء كلهن سواسية"[1]، فهذا يدل على أن تفكير شخصية ود الريس سطحية ونظرته للآخر المغاير عن ذاته نظرة دونية حصرها في المرأة "الأنوثة" دون أعمال للفكر السليم، وفي مقطع آخر دار بين " مستر مصطفى" و"بروفيسور ماكسول فستركين" حيث يقول في الرواية على لسان "مستر سعيد" "كان المحامون يتصارعون على جثتي، لم أكن أنا المهم بل كانت القضية هي المهمة فالبروفيسور ماسكول فستركين من الموسين لحركة التسلح الخلقي في اكسفورد، وماسوني وعضو في اللجنة العليا لمؤتمر الجمعيات التبشيرية البروتستنتية في إفريقيا، لم يكن يخفي كراهيته لي، أيام تتلمذ عليه في اكسفورد كان يقول لي في تبرم واضح: " أنت يا مستر سعيد خير مثال على أن مهمتنا الحضارية في إفريقيا عديمة الجدوى فأنت بعد كل المجهودات التي بذلناها في تثقيفك كأنك تخرج من الغابة لأول مرة"[2].

وفي مضمون هذا المقطع نجد تعبير على إقصاء لفكر الأنا من خلال الآخر الذي يمثله "بروفيسور ماسكول فستركين"، فقد مارس على "مستر سعيد" الاقتصاد والتقليل من جدوى وجوده وفكره وهذا ينم الصراع الدائم بين الطرفين الذي يهدف إلى الهيمنة والغلبة ومحاولة إبراز الذات لكل منهما.

أما شخصية "وزير التعليم" فنقل على لسانها الراوي "يجب أن لا يحدث تناقض بين ما يتعلمه التلميذ في المدرسة وبين واقع الشعب. كل من يتعلم اليوم يريد أن يجلس على مكتب وثير تحت مروحة ويسكن في بيت محاط بحديقة ومكيف بالهواء، يروح ويجيء

[1] المرجع نفسه، ص 91.

[2] زكي نجيب محمود، المرجع السابق، ص 99.

في سيارة أمريكية بعرض الشارع. إننا إذا لم نجتث هذا الداء من جذوره تكون عندنا طبقة برجوازية لا تمت إلى واقع حياتنا بصلة وهي أشد خطراً على مستقبل إفريقيا من الاستعمار نفسه"[1]. وهذا بالمختصر غزو فكري يجتاح الدول الإفريقية وهو أشد خطراً من الاستعمار المسلح لأنه يستهدف ضرب كينونة الذات، وهويتها، أي ضرب الاستقرار الفكري العام.

وتتضح أصول شخصية "محجوب" فهي شخصية معتدلة ومحترمة تتميز بخصال إسلامية وخلقية حسنة ويتضح ذلك في قوله "التي تفتح فمها سأقطع رقبتها، أي مأتم يا ولدي يقام في هذه الحالة؟ هذه مصيبة كبيرة حصلت في البلد، طول حياتنا تحت ستر الله، آخر الزمن يحصل علينا مثل هذا أستغفر الله وأتوب إليك يا رب"[2]، يدل هذا على التوجه الإسلامي والعقائدي الذي يتسم به محجوب لأنه ثابت المعتقد والفكر الذي تربطه قواعد الدين.

وفي مقطع آخر يدور بين "شيلا غرينود" و"مصطفى سعيد" حيث كانت تقول له "أمي ستجن وأبي سيقتلني إذا علما أنني أحب رجلاً أسود ولكنني لا أبالي"، فشيلا غرينود لا تبالي ولا تكترث لتلك الفوارق بينهما وبين الرجل الأفريقي عامة والسوداني "مصطفى سعيد"[3].

أما الحضارة فهي من الأنماط التي تمثل كينونة الشيء "الحضارة" لكل قوم حضارة للأنا حضارة والآخر حضارة ولكن هناك تعلق واحد بحضارة غيره.

قلت لها " أنا مثل عطيل، عربي إفريقي"

---

[1] المرجع نفسه، ص 117.

[2] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، مرجع سابق ,ص 123.

[3] المرجع نفسه، ص 132.

نظرت إلى وجهي وقالت نعم، أنفك مثل أنوف العرب في الصور لكن شعرك ليس قاتما ناعما مثل شعل العرب.

نعم هذا أنا، وجهي عربي كصحراء الربع خالي ورأسي أفريقي"[1].

يوصف نفسه ويوضح لها أنه عربي إفريقي أصيل متشبث بحضارة لا ينفك عنها.

"كان المفتش الانكليزي يغفر ويرحم والمتحكم في فينا نحن أبنا البلد هكذا غرسوا في قلوب الناس بعضنا وحبهم هم المستعمرين الدخلاء لحد الآن يا بني لم تستقل البلد"[2].

بطبيعة الحال القوة دائما هي المسيطرة حتى في وقتنا الحالي لا مكان للضعيف بين الأقوياء كما قال كان الانجليزي يرحم ومتحكم ....إلخ.

وهناك من عنده رؤية حضارية ويرى أن التآخي والإقبال على الآخر شيء مهم، فلا يكتفي بالحوار أو اللقاء وحتى في ديننا الحنيف يطلب منا التعايش والتعارف ولكن ليس على حساب كرامتنا وحقوقنا.

"كنا في انجلترا في وقت واحد، وقد جمعتنا مناسبات عدة وشربنا البيرة أكثير من مرة معاً، في حانات نايتسبريج"[3].

حضارة بلادين عند الآخر فهو يعتبر الحضارة شيء والدين شيء آخر مع أنه متطور ومتقدم ولكنه يتعاطى الخمر.

"أنظروا كم نحن متسامحون ومتحررون! هذا الرجل الإفريقي كأنه واحد منا! انه يتزوج ابنتنا ويعمل معنا على قدم المساواة"[4].

---

[1] المرجع السابق، ص 58.

[2] المرجع نفسه، ص 69.

[3] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، مرجع سابق ,ص 71.

[4] المرجع نفسه، ص 73.

تعجبوا لكون العربي الإفريقي يعمل معهم وكأنه منهم، نعم يجب أن نرى نحن كذلك هذه الرؤية للآخر وننظر له بالعين نفسها.

جلابيبهم نظيفة ولكنها غير مكوية، وعمائمهم أكثر بياضا من جلابيبهم، شواربهم تتفاوت طولاً وقصراً، سواداً وبياضاً بعضهم لهم لحى . . . .الخ"[1].

المطلب الثالث: الإستعمار والهيمنة

لابد من وجود استعمار نتيجة التخلف الواقع في دول العالم الثالث فالقوي يطمع في خيرات الضعيف والضعيف معرض لكل هجوم، هذا ما يعرف بالاستعمار الذي كان عبارة عن حروب بين الأنا والآخر (العرب) و(الغرب).

تمثل هذا في الرواية في المقطع الآتي:

"تأكد من كلامي هذا يا بني. ألم تستقل البلد الآن؟ ألم نصبح أحرارا في بلادنا؟ تأكد أنهم احتضوا أراذل الناس..."[2].

بمعنى أن الآخر استعمر الأنا ودخل بلاده حتى أصبح الأنا يتساءل عن حاله وحال بلاده التي أصبحت في أيدي الآخر (الاستعمار).

كذلك ما جاء في الرواية عن الاستعمار:

" مصطفى سعيد قال لهم: " أنني جئتكم غازياً""[3].

---

[1] المرجع نفسه، ص 76.

[2] الطيب صالح، المرجع السابق، ص 69.

[3] المرجع نفسه، ص 73.

عبارة ملودرامية ولاشك. بمعنى أن الهدف الذي ذهب من أجلة للعدو (الآخر) هو الغزو والاستعمار ولا شيء كما قال, نعم لأنه يرى نفسه هو السوداني الأصيل الذي يريد إرجاع حقه من الانكليز (الآخر).

وتمثلت صورة الغرب في الرواية في المقطع التالي:

"يقرأ شعرا انكليزيا، وهو ممسك كأس الخمر بيده"[1].

تمثلت صورة الغرب في الرجل الانجليزي وهو يمسك الخمر بيده بمعنى أن هناك صورة أخرى للغرب عكس صورته الحقيقية التي تتمثل في التطور.

ويأتي وجه آخر للغرب الذي يتمثل في القوة الحضارية تمثل هذا في الرواية في:

"كما خرج قوم كثيرون عبر التاريخ من بلاد كثيرة، سكك حديدية، البواخر المستشفيات، المصانع والمدارس ...إلخ"[2].

"كان المفتش الانكليزي ألها يتصرف في رقعة أكبر من الجزر البريطانية كلها، يسكن في قصر طويل ... وكان يسخر منا نحن الموظفين الصغار أولاد البلد"[3].

نعم يحق له أن يسخر هذا المفتش لما يمتلكه من قوة ونفوذ أنه (الآخر) ليس هذا فحسب بل أنه يمتلك السلطة في أرض (الأنا) هذا هو (الآخر) أو الغرب دائما مسيطر مهيمن متحكم في زمام الأمور يفرض قوانينه كما يحب.

[1] المرجع نفسه، ص 64.

[2] الطيب صالح، المرجع السابق، ص 66.

[3] المرجع نفسه، ص 69.

المبحث الثالث: مواقف الأنا من الآخر في الرواية

المطلب الأول: الإعجاب والتقدير

اهتم الكتاب العرب بمسألة العلاقة بين الأنا والآخر وذلك لأهميتها ومكانتها بين المسائل الأخرى، والذي ساعدهم على ذلك نظرتهم نحو الغرب الحضارية والمبنية على أساس الإعجاب والتقدير

وتتجلى الرؤية الحضارية في الرواية

"دفن مصطفى قامته في المقعد، ومدد رجليه، وأمسك الكأس بكلتا يديه وسرحت عيناه، كما خيل لي في آفاق بعيدة، ثم فجأة، سمعته يتلو شعرا انكليزياً، بصوت واضح ونطق سليم، قرأ قصيدة وجدتها في ما بعد بين قصائد عن الحرب العالمية الأولى"[1].

بمعنى أن مصطفى سعيد من خلال هذا المقطع يتضح لنا أنه متشبع بحضارة انجليزية وفي بعض المواقف نشك بأنه سوداني أصلاً.

[1] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، مرجع سابق ,ص 38.

"قلت له: "لكنك ليلة أمس قرأت الشعر بالإنجليزية "غاظني صمته فقلت له "من الواضح أنك شخص آخر غير ما تزعم من الخير أن تقول لي الحقيقة"[1].

أصبح الجميع يشك بحقيقة مصطفى وفي أصله الانجليزي أو السوداني

"يأبى الانكماش على الذات لأن إنكار الثقافة الغربية لا يستطيع أن يشكل في حد ذاته ثقافة، ولأن الرقص المسعور حول الذات المتفردة لن يجعلها تنبعث من رمادها"[2].

لا يستطيع لوحده تشكيل ثقافة (الأنا) بل عليه بالتعايش مع (الآخر) لصناعة رؤية حضارية جديدة.

"كان هناك جواز سفر آخر، انكليزي، صدر في لندن عام 1929 قلبت صفحاته فإذا أختام كثيرة، فرنسية وألمانية وصينية....إلخ"[3].

لكنه قال ولدت في الخرطوم كما ترى ونشأ يتيماً، وراح يوصف في حال عائلته في السابق.

وتكمن الرؤية الحضارية في علمنا العربي علاقة الأنا بالآخر في أمرين هما الصدام والحوار بمعنى أن الآخر ليس مرفوضا دائما كما أنه لا يلاقي القبول في كل الأحوال، انطلاقا من الاختلافات البينة في الانتماء والدين والفكر والعقيدة " سوء التفاهم والمواجهة السياسية والعسكرية بين الأنا والآخر أما علاقة الذات به من الناحية الثقافية والاقتصادية والتقنية فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها"[4].

---

[1] المرجع نفسه، ص 40.

[2] محمد راتب الحلاق، مرجع سابق، ص 38.

[3] محمد راتب الحلاق، المرجع السابق، ص 44.

[4] ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، مرجع سابق، ص 48.

بمعنى أن الرؤية الحضارية قائمة على التعايش والتعارف بين الطرفين (الأنا) و(الآخر).

المطلب الثاني: الإنبهار والتماهي

إن الانفتاح الذي يعيشه الإنسان الغربي ساعده كثيراً على الظهور بهذه الحلة المتميزة بالوعي والتطور الفكري وجنوحه نحو الريادة في جميع المجالات، في المقابل يبقى الإنسان العربي في بداية الأمر حبيس هذه التحركات تثير فيه الانبهار.

يقول مصطفى سعيد وهو يخاطب الراوي "لعلك الوحيد من أهل البلد، الذي لم اسعد بالتعرف إليه من قبل.

لماذا لا يترك هذا الأدب، ونحن في بلد إذا غضب فيها الرجال، قال بعضهم لبعض يا ابن الكلب".[1]

فرد الراوي كان بداعي الانبهار من مصطفى سعيد والأدب الذي يملكه وهذا مقارنة بأهل البلد.

يواصل الراوي انبهاره من شخصية مصطفى عندما دعاه إلى بيته لتناول العشاء مع العمدة، محجوبا....إلخ. وتعشينا جميعاً.

" ذهبت لعشاء فوجدت محجوبا، والعمدة، وسعيد التاجر، وأبي تشعينا دون أن يقول مصطفى شيئاً يثير الاهتمام. كان كعادته يسمع أكثر مما يتكلم. كنت حين يخفت الحديث وحين أجد أنه لا يعنيني كثيراً، أتلفت حولي كأنني أحاول أن أجد في غرف البيت وجدرانه الجواب على الأسئلة التي تدور في رأسي، لكن كان بيتا عاديا...منقسم إلى جزئين كبقية البيوت، جزء للنساء، والقسم الذي فيه الديوان للرجال، ورأيت إلى يمين

[1] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، مرجع سابق ,ص 34.

الديوان غرفة من الطوب الأحمر، مستطيلة الشكل، ذات نوافذ حمراء، سقفها لم يكن مسطحا كالعادة، ولكنه كان مثلثا كظهور الثور"[1].

يبدو أن الشك الذي خيّم على مصطفى سعيد في نفس الراوي كان في محله وهذا عندما سأل محجوب عنه فلم يخبره بالجديد لكنه قال: "مصطفى رجل عميق"[2].

وفي تدخل لمصطفى لفضّ نزاع حول توزيع الماء على الحقوق وهذا ضمن اجتماع لجنة الشروع الزراعي، يقول الراوي: "هدأ اللّغط واستمعوا إليه باحترام زائد، وقال مصطفى أن الخضوع للنظام في المشروع أمر مهم، وإلا اختلطت الأمور وسادت الفوضى، وإن على أعضاء اللجنة خاصة أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم، فإذا خالفوا القانون عوقبوا كبقية الناس، ولما فرغ من كلامه هز أغلب أعضاء اللجنة رؤوسهم استحسانا، وصمت من عناهم الكلام"[3].

تأكد هنا الراوي أن مصطفى من عجينة أخرى فكراً وثقافةً وأدباً وبينما كان يدرس الجميع في كلية ومن بينهم مصطفى سعيد "الذي كان نابعة في كل شيء، لم يكن يوجد شيء يستعصي على ذهنه العجيب كان المدرسون يكلموننا ويكلمونه بأخرى. خصوصاً مدرسو اللغة الانجليزية كانوا كأنما يلقون الدرس له وحده دون بقية التلاميذ"[4].

بالإضافة إلى ذلك كان مصطفى "أول سوداني يرسل في بعثة إلى الخارج كان ابن الانجليز المدلل وكنا جميعاً نحسده، ونتوقع أن يكون له شأن عظيم، نحن كنا ننطق الكلمات الانجليزية كأنها كلمات عربية لا نستطيع أن نسكن حرفين متتالين أنما مصطفى فقد كان يعوج فمه فتخرج الكلمات كما تخرج من أفواه أهلها وكان ذلك يملئنا غيظاً

[1] الطيب صالح، المرجع نفسه، ص 36.

[2] المرجع نفسه، ص 37.

[3] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4] الطيب صالح، مرجع سابق، ص 68.

وإعجاباً في الوقت نفسه، وكنّا نطلق عليه بخليط من الإعجاب والحقد الانجليزية الأسود، وعلى أيا منا كانت اللغة الانجليزية هي مفتاح المستقبل لا تقوم لأحد قائمة بدونها"[1].

فالانبهار الذي سيطر على الراوي اتجاه شخصية مصطفى وتكوينه الانجليزي الخالص من إجادة للغة الانجليزية واهتمام المدرسون الانجليز به دون سواه.

تفرض الثقافة الغربة نفسها بإثارة الانبهار وذلك لتطورها الفكري والعلمي والشائع أنه لم يأتي العربي بمثلها.

"كل ذلك بدأ العرب ينفتحون عليه أو ينفتح به الغرب نفسه عليهم، عبر تفاصيله التي أذهلت العرب بدءاً من حملة (نابليون) وما تلاها من تعزز للعلاقات"[2].

خلاصة لما سبق نرى شخصية مصطفى سعيد شخصية عميقة مثقفة ثقافة انجليزية لها مكانتها هنا وهناك غامضة في نظر أهل البلد (الخرطوم) في الوقت نفسه منفتحة ومتعاطفة معهم في التعامل اليومي.

أما التماهي فهو آلية سيكولوجية لا شعورية يتمثل الشخص فيه بواسطة أحد مظاهر وخصائص أو صفات شخص آخر.

والتماهي بمعنى تقمص وتمثل وتبني قيم الآخرين "وقال ود الريس: "عليّ اليمين يا حاج أحمد لو ذقت نساء الحبش والفلاتة كنت رميت مسبحتك وتركت صلاتك، ما بين أفخاذهن كأنه الصحن المكفى، صاغ سليم، بكامل خيره وشره عندنا هنا يقطعون ويتركون مثل الأرض الخلاء"[3].

محاولة الوصول للآخر بشتى الطرق والأساليب والانتقام منه.

---

[1] المرجع نفسه، ص 68، 69.

[2] ينظر: نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصر، دار الفارس، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص 52.

[3] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، مرجع سابق ,ص 90.

" كانت عكسي تحن إلى مناخات استوائية وشموس قاسية وآفاق أرجوانية، كنت في عينيها رمزاً لكل هذا الحنين وأنا جنوب يحن إلى الشمال والصقيع"[1].

أعجبت به وأعجب بها لكن كان يفكر في اغتصابها بصورة أوضح بالانتقام منها. فهو لا ينسى الغرض الذي سافر من اجله ويحاول تحقيقه.

"ليصبح التماهي بالغرب وتكرار نموذجه" يعني الحرمان من أهم وظائف الحضارة وتبني قيم الآخرين"[2].

بحيث يحاول الوصول إلى هدفه بتبني قيم الآخرين.

المطلب الثالث: الرفض والمقاومة

يدعم هذا الموقف فكرة الاختلاف ويرفض فكرة التقابل بين الآخر الغربي والأنا العربية بصفة عامة، لأن الأمر يتعلق بتمييز وإعلاء ذات كل منهما على حساب الآخر، وهذا ما يسمح بتطبيق مختلف أنواع العدوان، قصد الهيمنة والتفوق، حتى وان كان الأمر يقتضي الصراع المسلح الدموي الذي يمارس الاضطهاد، هذا " كما تناولت الرواية العربية الهزائم والنكسات التي تعرض لها العرب وكذا أنواع الاضطهاد التي مورست على الإنسان العربي وأصناف الصمود التي تحدى بها ذلك الاضطهاد"[3].

اتبع مصطفى سعيد سياسة الانتقام من الغرب من خلال تقربه من المرأة التي تمثل الغرب وهذا لإشباع شهواته من جهة وإبراز فحولته في مقابل نعت الغرب بالأنوثة من

[1] المرجع نفسه، ص 134.

[2] ينظر، محمد راتب الحلاق، مرجع سابق، ص 38.

[3] ينظر: أحمد البيوري، مرجع نفسه، ص 128.

جهة أخرى، وإدخال المرأة في دوامة من العذر النفسي والتعذيب، لأن مصطفى سعيد كان يعرف كيف يدخل عالم المرأة ويحرك البركة الساكنة كما جاء في الرواية.

" غرفة نومي كانت تمثل غرفة عمليات في مستشفى، ثمة بركة ساكنة في أعماق كل امرأة، كنت أعرف كيف أحركها، وذات يوم وجدوها ميتة انتحاراً بالغاز ووجدوا ورقة صغيرة باسمي ليس فيها سوى هذه العبارة " مستر سعيد لعنة الله عليك" كان عقلي كأنه دمية حادة، وحملني القطار إلى محطة فكتوريا وإلى عالم جين مورس"[1].

"اكتشفت خدام مستر مصطفى سعيد لها، وكانت آن ابنته الوحيدة وقد عرفتها وهي دون العشرين فخدعتها وغررت بها "وقلت لها نتزوج زواجاً يكون جسراً بين الشمال والجنوب"[2].

وتمثلت كذلك الرؤية العدوانية المبنية على رفض الآخر في:

"وبعد يا حاج أحمد، اركب البنت أمامي على الحمار وهي تفلفص وتتلوى وبالقوة جردتها من جميع ثيابها حتى أصبحت عارية كما ولدتها أمها"[3].

حاول الانتقام منها جنسياً بل من الآخر بصفة عامة وتجسد الصراع كذلك في المقطع التالي:

"وضربني ود الريس بكوعه في جبني وقال "قالوا نسوان النصارى شيء فوق التصور فقلت له "لا أدري""[4].

[1] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، مرجع سابق ,ص 53.

[2] المرجع نفسه، ص 80.

[3] الطيب صالح، المرجع السابق، ص 86.

[4] المرجع نفسه، ص 90.

ليكون هدف كل واحد نهم التخلص من الآخر بأية وسيلة كانت، وهذا ما تولد عنه "فكرة الاستعمار الحديث الذي قام على الغلبة والهيمنة وفرض النموذج الأوروبي والأمريكي على شعوب آسيا وإفريقيا"[1].

"لكنه في المحكمة سيستعمل كل مهارته ليضع حبل المشنقة حول عنقي والمحلفون أيضا....إلخ"[2].

يبقى العداء والصراع قائم بين الغرب والعرب (الآخر) و(الأنا) ويبقى الضعيف حقه مهضوم أما القوي دائما في السلطة ونتج على هذا العداء عدة حروب في حق الإنسانية زادت الوضع تدهوراً كما هو في واقعنا الحالي.

ونجد أيضاً في الرواية وصفاً دقيقاً فيه نوع من السخرية والاحتقار "لسادة افريقية الجدد، ملس الوجوه، وأفواههم كأفواه الذئاب، تلمع في أيديهم ختم من الحجارة الثمينة، وتفوح نواصيهم برائحة العطر في أزياء بيضاء وزرقاء وسوداء وخضراء من الموهير الفاخر، والحرير الغالي تنزلق على أكتافهم كجلود القطط السيامية"[3].

وهذا دليل على تبادل مشاعر الضغينة تجاه هذه الفئة المذكورة وهذا نوع من أنواع العدوان الذي يمارس بين البيض والسود على وجه خاص وبين الأنا والآخر عامة.

وهذا التمييز يؤدي إلى غياب العدل، كما في المقطع "لا يوجد عدل في الدنيا ولا اعتدال وأنا أحس بالمرارة والحقد فبعد هؤلاء الضحايا جميعاً، توج حياته بضحية أخرى حسنه بنت محمود"[4]. فالأمر تحول من عداء إلى عداء وهذا ما ساهم في تأزم الأوضاع أكثر فأكثر و زاد من حدة الصراع بين الأنا والآخر.

---

[1] باديس فوغالي، مرجع سابق، ص 99.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] المرجع نفسه ، ص 117.

[4] باديس فوغالي، المرجع السابق، ص 133.

تمثلت الرؤية العدوانية في الرواية كذلك في العلاقات الجنسية بين الأنا والآخر.

"كنت أجدها في كل حفل أذهب إليه، كأنها تتعمد أن تكون حيث أكون لتهينني، أردت أن أراقصها فقالت لي: لا أرقص معك ولو كنت الرجل الوحيد في العالم"[1].كانت هناك علاقة جنسية فيما بينهم وكان يراودها عن نفسها، في كل مناسبة يحضرها وهذا ما يكرس فكرة "ازدياد سوء التفاهم بيننا وبين الآخر وامتلاء قلوب الكثيرين بمشاعر الضغينة ضد الآخر المختلف"[2].

لابد من امتلاء القلوب بالحقد والكره نتيجة العداء القائم بين الطرفين.

أما وجود الاستعمار خاصة في البلدان المتخلفة دول العالم الثالث فهو يبقي مخلفات الاستعمار متحكمة في الدول الضعيفة فكرياً، سياسياً، اقتصادياً.

"وبالليل أواصل الحرب بالقوس والسيف والرمح والنشاب، رأيت الجنود يعودون يملؤهم الذعر، من حرب الخنادق، رأيهم يزرعون بذور الحرب القادمة في معاهدة فرساي، ورأيت لويد جورج يضع أسس دولة الرفاهية العامة"[3].

أصبح يعيش من حرب إلى حرب هذه هي حاله نتيجة ضعفه.

" من الطبيعي أن يكون بين العرب والغرب عداوة وذلك منذ القدم قامت العلاقات بين العرب والمسلمين وبين الأوروبيين على الصراع الذي تمظهر في حركات الاستعمار والاستعمار الجديد"[4].

إن الحرب مازالت قائمة لحد الساعة بين الغرب والعرب (الأنا) و(الآخر) نتيجة الضعف والقوة، التخلف والتقدم، الجميع يريد السيطرة والنفوذ والتحكم بغيره.

---

[1] المرجع نفسه ، ص 144.

[2] نجم عبد الله كاظم، مرجع سابق، ص 57.

[3] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، مرجع سابق ,ص 55.

[4] عبد الله أبو هيف، صورة الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية العربية، مجلة جامعة دمشق، عدد 5/4، 2008م، ص 105.

"لماذا جئت أرضي وبلدي تخرب وتنهب؟ الدخيل هو الذي قال ذلك لصاحب الأرض، وصاحب الأرض طأطأ رأسه ولم يقل شيئا"[1].

السيطرة التامة القوي على الضعيف حتى في أرضه وفكره. وفي هويته والمغلوب دائما مولع بالغالب يقلده في كل شيء ويرى فيه الكمال.

"وأن أعضاء وفده أنفسهم يجاهرون بأنه فاسد مرتش، ضيع الضياع وأقام تجارة، وكون ثروة فادحة من قطرات العرق التي تنصح على جباه المستضعفين والمحرومين"[2].

الاستعمار والسيطرة التامة على المستضعفين وبناء ثروة من جهودهم وأجسادهم.

"فالانصهار بين الأنا والآخر محكوم عليه بالفشل لأنه لا يمكن أن يلتقي الأنا المعتدي عليه مع الآخر المعتدي, فلا يمكن أن يلتقي القتيل مع القاتل على قاسم مشترك يوحد بينهما"[3].

تبقى السيطرة مقترنة بالأقوى (الآخر) ويفرض شروطه على الضعيف (الأنا) مع دوام الصراع بين الطرفين.

"مصطفى سعيد اقتصاد الاستعمار، مصطفى سعيد الاستعمار والاحتكار، مصطفى سعيد الصليب والبارود، مصطفة سعيد اغتصاب إفريقيا"[4].

مثل مصطفى سعيد في بعض مقاطع الرواية (الآخر) الذي كان في صورة الاستعمار وحاول طمس الهوية والدين بصريح العبارة كان مغتصب للأراضي الإفريقية.

---

[1] المرجع نفسه، ص 100.

[2] المرجع نفسه، ص 118.

[3] بسام قطوس، مرجع سابق، ص 213.

[4] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، مرجع سابق، ص 131.

فالغرب بمعنى الكلمة هو العدو والمستعمر دائما ضد الأنا في كل كبيرة وصغيرة ويحاول القضاء عليه كما نرى اليوم من خلال الحروب المشتعلة في أراضي (الأنا) بسبب (الآخر).

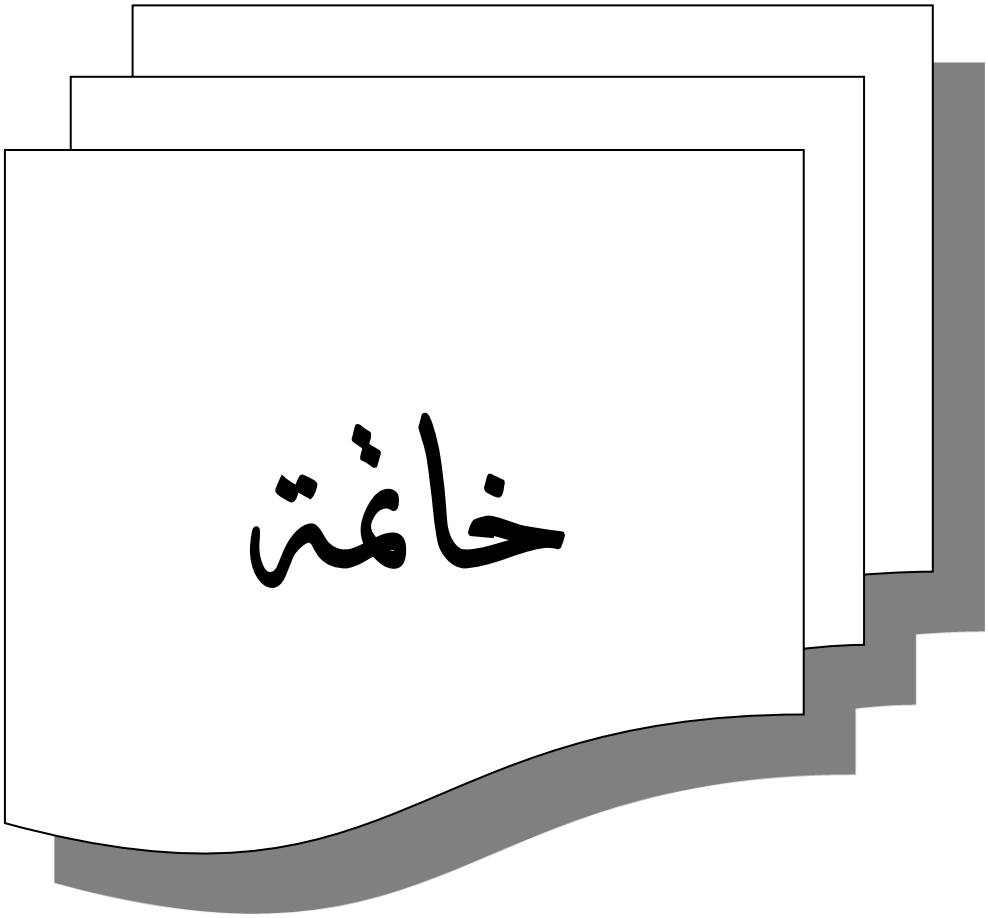
خاتمة

خاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة التي طوفنا من خلالها على أهم عناصر الموضوع نخلص في نهايتها إلى جملة من النتائج أهمها:

- ❖ تتحدد الهوية بمدى انغلاق الأنا حول ذاتها وانفتاحها على الآخر المختلف.
- ❖ يرتكز مفهوم الأنا والآخر، على مرجعية فلسفية واجتماعية ونفسية.
- ❖ الآخر ليس نمطا واحدا بل أنماط، مختلفة منها: "الغرب ،الثقافة، الحضارة، والفكـــر، الاستعمار، المرأة ..." يتحدد انطلاقاً من الصورة التي ظهر بها الأنا.
- ❖ موقف الأنا من الآخر مرتبط بطبيعة الأنا ومكانة الآخر.
- ❖ النزعة الذكورية مهيمنة في رسم ملامح العلاقة بين الأنا والآخر.
- ❖ لعبت العلاقة الجنسية دوراُ مهماً في اتصال الأنا بالآخر وقد اختلفت بواعثهـــا بـــين الانتقام من الآخر(الأنثى) والخضوع لجاذبيته وإغوائه .
- ❖ رغبة الانتقام من الآخر التي سيطرت على بطل الرواية هي بداعي الميـــراث الـــذي ترسب في نفس الإنسان العربي نتيجة الاستعمار الغربي المجرم.
- ❖ لا تسلط الرواية الضوء على نقاط ضعف الآخر بل تبرز نقاط القوة، وتحاول تمكـــين الأنا من التواصل مع الثقافة الغربية والأخذ بما يفيدها.
- ❖ الأنا في الرواية، يمثل الشخصية السودانية في مقابل الآخر الذي يمثل الغرب وتحديدا الشخصية الإنجليزية.
- ❖ شغل الآخر الحيز الأكبر في الرواية، وهذا سعياً من الأنا لإبراز ذاتها انطلاقـــاً مـــن الآخر المختلف.
- ❖ استطاع الراوي أن يظهر مجموعة من الملامح الحضارية والإنسانية التي يتمتع بهـــا الآخر الغربي.

❖ يرى الطيب صالح ضرورة إعادة الآخر النظر في مرتكزاته ومنطلقاته التي يؤسس عليها مواقفه من الأنا، والنظر إليها بعين الإنسانية.

وأخيراً، تعتبر رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح عملا جباراً باكتسابها شهرة عربية وعالمية، فرغم كثرة ما كتب عنها مازالت قادرة على جلب القراء والدارسين فهي عمل إبداعي لا يموت.

الملاحق

1-التعريف بالروائي "الطيب صالح"

الطيب صالح أو " عبقري الرواية العربية" كما جرى بعض النقاد على تسميته، أديب عربي من السودان اسمه الطيب محمد صالح أحمد ولد عام (1348 ه - 1929 م) في إقليم مروى شمالي السودان بقرية كَرْمَكوْل بالقرب من قرية دية الفقراء، وعاش مطلع حياته وطفولته في ذلك الإقليم وفي شباب انتقل إلى الخرطوم لإكمال دراسته فحصل على درجة البكالوريوس في العلوم، سافر إلى انجلترا حيث واصل دراسته، وغير تخصصه الى دراسة الشؤون الدولية السياسية، تنقل الطيب صالح بين عدة مواقع مهنية.

- شغل في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية
- شغل مدير منصب الدراما، وبعد استقالته من البي بي سي عاد إلى السودان، عمل الإذاعة السودانية، ثم هاجر إلى دولة قطر وعمل في وزارة إعلامها وكيلا ومشرفا على أجهزتها.
- عمل مديرا إقليميا بمنطقة اليونيسكو في باريس ....إلخ.

أهم أعماله:

- ✓ رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"
- ✓ رواية "ضو البيت"
- ✓ رواية "عرس الزين"
- ✓ رواية "نخلة حاب الجنادرية"
- ✓ رواية "وطني السودان"

توّج في بيروت ب "عبقري الرواية العربية " 2001 م، تم الإعتراف بكتابه من قبل الأكاديمية العربية في دمشق على أنه صاحب "الرواية العربية الأفضل في القرن العشرين" والعدد من الجوائز يصعب علينا إحصائها في هذا التعريف المختصر.[1]

[1] ينظر: أحمد كريم بلال، جدلية الرمز والواقع، دراسة نقدية تطبيقية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، مدارات للنشر والتوزيع، الخرطوم، (ط 1)، 2011م، ص 32.

2-ملخص الرواية

تبدأ الرواية بعودة سوداني (الراوي) من لندن بعد إكمال دراسته لمدة سبع سنوات إلى السودان واستقبله أهل القرية الذي عرفهم والذي لم يعرفهم وبينهم "مصطفى سعيد" وعند السؤال عنه عرف بأنه من الخرطوم، جاء إلى القرية منذ خمس سنوات ثم تزوج امرأة من القرية, لكنه يبقى رجل غامض في نظر الراوي.

إنها حكاية مصطفى سعيد رجل أسطوري رواها الراوي وبعد فيضان نهر النيل....اختفى مصطفى ثم مضى وترك رسالة يوصي بها الراوي بأنه يتولى أمر أهله من بعده.

زوجة مصطفى (حسنة بنت محمود) قررت عدم الزواج بعده ويأتي الحديث عن (ود الريس) الرجل العجوز الذي رفضته حسنة ولكنه (كرمز للذكورة الشرقية) يأبى أن يتقبل فكرة أن ترفضه امرأة فيصر على الزواج منها بعد موافقة والدها.

وهنا تقع المأساة حيث يجبر والد حسنة ابنته بالزواج من واد الريس لكنها ترفضه كزوج وتمنعه من الاقتراب منها وحاول مرة مهاجمتها بعنف، فتدافع بنت محمود عن نفسها، وتقتل زوجها، ثم تقتل نفسها.

بعد هذا الحدث يأتي الراوي ويكتشف ما حدث ليحمل نفسه المسؤولية لأنه كان المكتفل بها.

تنتهى الرواية في لحظة انعتاق من الذات يقوم بها الراوي في لحظة يندمج فيها كإنسان عار مع نهر النيل الذي هو أصل الحكاية.

ملخص البحث

لقد طرقت إشكالية الشرق والغرب فكرا وإبداعا وتخييلا، وعرضت علـــى مائـــدة البحث والنقاش الواسع، وبالأخص في الرواية العربية، والتي عكست الصراع بكل أبعاده وصورته تصويرا شاملا عبر مجموعة من الرؤى والصور المتقابلة سواء أكانت إيجابيـــة أم سلبية، تترجم لنا ثنائية الأنا والآخر. فمن بين الروايات التي تعرضت لإشـــكالية الأنـــا والآخر هي رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، والتي وقع عليها اختيارنا فـــي بحثنا هذا والموسوم بجدل الأنا والآخر في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، ذلـــك أنهـــا تحمل في مضمونها العام مسألة العلاقة والصراع بين الأنا والآخر. وتتناول لقاء الثقافات وتفاعلها والتشكيل الحضاري بناءا على معطيات تمثلت في مواقف الانا تجاه الاخر والتي احصرت بين الاعجاب والتقدير تارة وبين الانبهار والتماهي بالاخر تارة اخـــرى وبـــين المقاومة والرفض والاشكال التي يظهر من خلالها الاخر المختلف مـــن ناحيـــة الثقافـــة والفكر والمتطور علميا وحضاريا والذي مارس في وقت من الأوقات الاســـتعمار علـــى دول أقل قوة منه وذلك قصد السيطرة والهيمنة واحلاله محلها ومنه كانت العلاقة بين الانا والاخر مبنية على أساس التأثر والتأثير بتقدم التكنولوجيا وبتطور ما يسمى بالاســـتعمار غير المباشر

Abstract

The problem of the East and the West touched on thought, creativity and imagination, and was presented to the table of discussion and wide debate, especially in the Arabic novel, which reflected the conflict in all its dimensions and its image comprehensively through a set of visions and contrasting images, whether positive or negative, that translates to us the duality of the ego and the other. Among the narratives that have been exposed to the problem of the ego and the other is Tayeb Salih's novel Mawsim El-hidjra Ila Chamel, which we chose in our research, which is marked by the ego and the other controversy in the novel Season of Migration to the North, because it carries in its general content the issue of the relationship and conflict between the ego and the other. It deals with the encounter of cultures, their interaction, and the cultural formation based on the data represented in the ego attitudes towards the other, which was limited between admiration and appreciation at times and between admiration and identification with the other at other times and between resistance and rejection and the forms through which the other appears different in terms of culture and thought and developed scientifically and culturally and who practiced at one time Colonialism is on states less powerful than it, with the aim of dominating and dominating and replacing it, and from it the relationship between the ego and the other was based on being affected and influenced by the advancement of technology and the development of the so-called indirect colonialism

المراجع والمصادر

I-المصادر

- إبراهيم عباس، الرواية مغاربية، تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيدولوجي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005م.
- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة (د/ط)، 1983م.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، ج1، (د/ت).
- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، (د/ط)، (د/ت).
- ابن منظور، لسان العرب، إنتاج المستقبل للنشر الإلكتروني، بيروت، 1995م.
- الجوهري، معجم الصحاح، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان، ط3، 2008.
- سعد فهد الذويج، صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، 2009م.
- الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، تقديم توفيق بكار، دار الجنوب، 1979م.
- عبد العزيز بن عثمان التويجري، الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، اسيكو، ط2، 1436ه، 2015م.
- عبد المجيد سالمي، نور الدين خالد، معجم المصطلحات علم النفس، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.
- فاخر عاقل، معجم علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985م.
- فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، ع1، 1988م.

- محمد الخباز، صورة الآخر في شهر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.
- محمد الداهي، صورة الأنا والآخر، في السرد، دار رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2013م.
- محمد نور الدين أفاية، الهوية والإختلاف، المرأة الكاتبة والهامش، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998م.
- محمد يعقوبي، معجم الفلسفة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008م.
- وجيد يعقوب السيد، صورة الذات الآخر، دراسة في أنماط السيرة الذاتية، الثقافة والعلوم، ط1، 2018م.

II-المراجع

- أحمد البيروي، في الرواية العربية، التكون والاشتغال، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000م.
- إيهاب النجدي، صورة الغرب في الشعر العربي الحديث، تح محمود البجالي، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2008م.
- بول ريكو، الهوية والسرد، ترجمة: حاتم الورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر، 2009م.
- حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،ط1، 2012.
- حسين لمؤنس، رحلة الأندلس، الشركة العربية للطباعة، (د/ط)، القاهرة، 1963م.
- خليل عودة، جدلية العلاقة بين الأنا والآخر في سيناريو جاهز لمحمود درويش، جامعة النجاح، (د/ت).
- خولة محمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)،عالم المعربة، مارس 2013.

- زكي نجيب محمود، الشرق الفنان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د/ط)، 1993م.
- سيغموند فرويد، الأنا والهو، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط4، 1982م.
- الطاهر لبيب، صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999م.
- عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط2، 2009م،.
- عبد الرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، النهضة المصرية، مصر ط2، 1996م.
- عبد المجيد حنون ،صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- فاطمة موسى في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د/ط)، 1975م.
- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، 1434ه، 2013م.
- محمد صابر عبيد، جماليات التشكيل الروائي، عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1، 2012.
- محمد راتب الحلاق، نحن الآخر، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997م.
- محمد عبد القادر خريسات وآخرون، تاريخ الحضارة الإنسانية، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن،(د/ط)، 1999م.
- محمد محمود ربيع، إسماعيل صبري، موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، مجلد 1، 1994/1993م.

- نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصر، دار الفارس، بيـــروت، لبنان، ط1، 2013م.
- نجيب بلدي، ديكارت، سلسلة توابع الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، ط2، 1986م.

III-الدراسات

- حنان صالح، البنية السردية في رواية " تاء الخجل" لفضيلة الفاروق، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015/2014.
- زهية طرشي، تشكيل التراث في أعمال محمد مفلاح الروائية، مـــذكرة لنيـــل شـــهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016/2015.
- سعد سامي محمد، الأنا والآخر في المعلقات العشر، مذكرة لنيل شهادة ماجســـتير فـــي اللغة العربية وآدابها، جامعة البصرة، 2012.
- سلاف بوحلايس، صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، مذكرة لنيـــل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، جامعة باتنة، 2009/2008م.
- شريف موسى عبد القادر، أشكال الصراع الحضاري في الروايـــة العربيـــة، مقاربـــة نفسية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة تلمســـان، الجزائر، 2004م.
- محمد كمال عبد العليم سرحان، الذات والآخر في رواية (حب في كوبنهاجن) لمحمد جلال، أطروحة دكتوراه في الأدب الحديث، جمهورية مصر العربية .
- نوال شايف، تحولات صورة الآخر في الرواية العربية الحديثة، عصفور من الشـــرق أنموذجاً، مذكرة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة محمـــد بوضـــياف، مسيلة، 2015/06/03م.

IV-المجلات

- باديس فوغالي، جدلية الشرق والغرب في الرواية العربية، مجلة الأدب والعلوم الإنسانية، العدد 8، جوان 2007م، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر.
- خالد محمد فرج، جدل الأنا والآخر في أعمال الطيب صالح.
- عبد الله أبو هيف، صورة الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية العربية، مجلة جامعة دمشق، عدد 5/4، 2008م.
- عبد الملك مرتاض، الرواية جنسا أدبيا، مجلة الأقلام وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ع12، 1986م.
- عمر عبد العلي علام، الأنا والآخر، الشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ص 12، (نقلا) عن جابر عصفور فنون الآخر وآدابه، مجلة العربي، العدد 473، أفريل 1998م .
- قطوس بسام، علائق الحضور والغياب في شتاء ريتا الطويل، مجلة الدراسات الجامعية، الاردن، 1996م.
- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، سلسلة عالم المعرفة رقم 398، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د/ط)، 2013م.
- محمد زكريا غناني، الموشحات الأندلسية، عالم المعرفة، العدد 31، الكويت.
- محمد عابد الجابري، الغرب والإسلام، الأنا والآخر أو مسألة الغيرية، مجلة الجابري، عدد 2، 2015م.
- نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير (صراع اللغة والهوية)، مجلة المخبر، عدد 7، بسكرة، 2011م.

V-اللقاءات التلفزيونية

- إبراهيم الخولي، حوار الأديان، برنامج الاتجاه المعاكس، قناة الجزيرة الفضائية، قطر، www.youtube.com/watch?V=JJ55R3IMAX

VI-المراجع الأجنبية

• Serge Latorche, L’occidentalisation du monde, essaisur, la signification, la portéeet les limites de l'uniformisationplanétaire, La Découverte, paris, 2005, p 11.

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	–
الشكر	–
مقدمة	أ–د
مدخل	06
الفصل الأول: دراسة مفاهيمية :الهوية، الأنا، الآخر	
المبحث الأول: الهوية مفهومها وحدودها	09
ماهيتها	09
حدودها	12
المبحث الثاني: مفهوم الأنا والآخر	15
مفهوم الأنا	15
مفهوم الآخر	18
الفصل الثاني: علاقة الأنا بالآخر	
المبحث الأول: أنماط الآخر وأثر في الأنا	22
الثقافة والفكر	22
الحضارة والعلم	24
الاستعمار والهيمنة	26
المبحث الثاني: مواقف الأنا من الآخر	29
الاعجاب والتقدير	29
الانبهار وتماهي	30
الرفض والمقاومة	31
الفصل الثالث: تجليات الأنا والآخر في الرواية	

المبحث الأول: الهوية (الأنا بين الانفتاح والانغلاق)	33
الأنا والانفتاح	33
الأنا والانغلاق	34
المبحث الثاني: أنماط الآخر في الرواية	36
الثقافة والفكر	36
العلم والحضارة	37
الاستعمار والهيمنة	41
المبحث الثالث: مواقف الأنا من الآخر في الرواية	43
الاعجاب والتقدير	43
الانبهار والتماهي	44
الرفض والمقاومة	48
خاتمة	54
الملاحق	57
قائمة المصادر والمراجع	62
فهرس الموضوعات	68

تم بحمد الله